عــود الــنــــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهواري

العدد التاسع

صيف 2018

مسيرات العــودة - ملف



رائد القطناني

بحوث :: قراءات :: نصوص :: إصدارات

عـود الـنـد تبدأ عامها الثالث عشر

المحتويات



كلمة العدد - د. عدلي الهواري

غزة لا تستكين



يصدر العدد الفصلي التاسع من مجلة «عود الند» الثقافية متزامنا إلى حد ما مع الذكرى السنوية السبعين لنكبة فلسطين، والحادية وخمسين لحرب عام 1967، والسادسة والثلاثين لغزو إسرائيل لبنان صيف عام 1982 بغية القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية. ويصدر أيضا بعد نحو أسبوعين من استشهاد العشرات وجرح المئات من المشاركين والمشاركات في مسيرة العودة إلى فلسطين المنطلقة من قطاع غزة المحاصر برا وبحرا وجوا.

الشعب الفلسطيني يقاوم منذ استهداف فلسطين لتصبح وطنا مصطنعا يُبنى ضمن سياق مشروع استيطاني لا يختلف كثيرا عن مشاريع استيطانية أخرى سبقته، نُفذت على أساس ادعاءات منها أن الأرض بلا شعب، أو أن المعتدي يحمل مشروعا حضاريا، أو أن لديه حقا إلهيا في هذه الأرض.

الشيء المختلف في حالة فلسطين أن المشروع الاستيطاني نجح إلى حد كبير ولكنه أخفق جزئيا. نجح في عام 1948 عندما تمكنت الحركة الصهيونية من تأسيس دولة إسرائيل، ولم يكن ذلك بجهود ذاتية بل بتعاون وتسهيل من بريطانيا في أوج قوتها كإمبراطورية. وأخفق المشروع جزئيا نتيجة بقاء بعض الشعب الفلسطيني على أرضه، وعدم نسيان بقية الشعب وطنه، فنبوءة رئيسة وزراء إسرائيل، غولدا مئير، بأن الكبار سيموتون والصغار سينسون لم تتحقق.

وثمة محاولات مكثفة في الآونة الأخيرة لجعل النجاح كاملا بطريقة

مختلفة، ممثلة في فرض الأمر الواقع على الشعب الفلسطيني، فيظل مشتتا في مختلف أنحاء العالم، والباقون منه في فلسطين يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية وأقل، أو يعيشون في معازل تديرها فئة من الشعب الفلسطيني تسمى سلطة ولكن ليس لها سلطة حقا.

فرص النجاح في ذلك قوية، ففي الولايات المتحدة حاليا رئيس يتعامل مع الدول العربية الثرية بأسلوب فارض الإتاوة. وهذه الدول تستجيب وتدفع مبالغ بالمليارات، بل وتبالغ في الانحناء له بالتظاهر بأن لديها قواسم مشتركة معه، كموقف مشترك من خصم خارجي مزعوم.

ثم جاء إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترمب قرار نقل السفارة الأميركية إلى القدس، فجرد ما تبقى من كرامة متخيلة لدى الدول العربية، وخاصة التي تعتبر نفسها معنية أكثر من غيرها بشأن القدس، علما بأن الدول العربية ظلت تعوّل على أن القانون الدولي سينصفها ذات يوم، فبمقتضاه تعتبر القدس الشرقية والضفة الغربية والجولان وسيناء (قبل اتفاقية كامب ديفيد) مناطق محتلة.

ترمب ليس أول رئيس أميركي يتصرف دون أن يأبه بالقانون الدولي. ولكنه تجاوز أسلافه في عدم اكتراثه بمكانة القدس لدى العرب والمسلمين. كذلك، تم افتتاح السفارة الأميركية في القدس متزامنا مع الذكري السنوية السبعين للنكبة. وهكذا أضيف لجرح النكبة والاحتلال الدامي إهانة جماعية كبرى لعموم العرب من مسلمين ومسيحيين، وعموم المسلمين في العالم.

وسط هذه الأوضاع المثيرة للقلق على مستقبل القضية الفلسطينية، قدّم أهالي قطاع غزة في مسيرات العودة إلى فلسطين الدليل على أن الاستسلام خيار مرفوض. وخلافا لما يمليه التحليل المنطقي للأمور، تبين أن قطاع غزة المحاصر ينبض بالطاقة الخلاقة القادرة على المقاومة رغم توقع كثيرين انهيار الأوضاع في قطاع غزة، وبالتالي عزوف أهله عن الاهتمام بشيء سوى لقمة العيش وبحث الأفراد عن فرصة لمغادرته.

لو حدّثتَ أحدا من غزة عن الوضع هناك، لقال لك إن الوضع لا يطاق. وهذا صحيح، فعندما تحاصر منطقة صغيرة مكتظة بالسكان برا وبحرا وجوا، من غير المعقول أن يتظاهر المرء بأن الوضع فيها طبيعي، وأن الناس فيها بشر من طينة مختلفة. دول مستقلة كبيرة يؤثر فيها فرض عقوبات عليها،

وبالتالي ستتأثر الأوضاع الإنسانية والاقتصادية كثيرا في قطاع غزة الذي يعتدى عليه مرارا رغم أنه محاصر.

ما يتعرض له قطاع غزة منذ سنوات عقوبة جماعية مخالفة للقانون الدولي[1]، ولكن لا أحد يهتم بالقانون الدولي عندما يتعلق الأمر بالشعب الفلسطيني، أو دولة من دول العالم الثالث، فهو سيف تسلطه الدول القوية، الغربي منها تحديدا، على بقية دول العالم، وتستثني نفسها مما تفرض على غيرها تنفيذه.

المنطق يقول إنه عندما يكون لدى شعب محاصر كل هذه الطاقة للصبر والمقاومة، فمثلها وأكثر متوفرة لدى بقية الشعب الفلسطيني، وتصبح هذ القدرة مضاعفة عندما يفتح المجال لدعمها من عموم الشعب العربي.

أكبر أكذوبة تتكرر هي أن الشعوب العربية غير مهتمة بالقضية الفلسطينية. المشاعر الحقيقة للشعوب العربية ليس لديها الفرص الكافية للتعبير عن نفسها، إضافة إلى إغلاق سبل تقديم الدعم العملي مثلما كان يحدث في الماضي قبل استبدال المقاومة بسلطة حكم ذاتي اسما. ولكن الجهود المبذولة لمقاومة تطبيع العلاقات مع إسرائيل حتى في الدول التي وقعت معاهدة سلام رسمية معها لا تزال مستمرة، وهذه الجهود أكمة وراءها الكثير من التأييد الساكن للقضية الفلسطينية.

بعض الفيديوهات التي تنشر لأشخاص يوجهون الإهانات للشعب الفلسطيني، أو تكرار أكاذيب أنه باع أرضه، أو وجود نية لديه للاستيطان في هذه الدول العربية أو تلك أمور مرتبطة بمحاولات منهجية لفرض الأمر الواقع على الشعب الفلسطيني، واستعراض عضلات في الدول العربية لأغراض سياسية داخلية ليبدو من يستعرضها قائدا أو سياسيا عظيما. ولكن الحقيقة هي أن هذا الشعب يقاوم منذ بدء موجات الاستيطان في وطنه.

لا شك في أن تضحيات أهالي غزة تؤرق صاحب كل ضمير حي، فالحصار البري والبحري والجوي جريمة ضد الإنسانية، والمشاركة فيه عربيا وفلسطينيا وصمة عار لن تمحى ولن تنسى. في الوقت نفسه، هذه القدرة على المقاومة رغم صعوبة الظروف تعني أن العمل يجب أن يستمر من أجل مشاركة فلسطينية وعربية أكبر في جهود مقاومة الاحتلال واستعادة الحقوق، وعلى رأسها حق العودة.

حتى عالميا، هناك تعاطف مع الشعب الفلسطيني أكثر من ذي قبل، وسن القوانين لتجريم الجهود الهادفة إلى مقاطعة إسرائيل دليل على أن هذه الجهود أصبحت مؤثرة ولم يعد من الممكن تجاهلها. ولكن قبل التعويل على التأييد العالمي، الأولوية في حشد القدرات يجب أن تكون لمشاركة الشعب الفلسطيني في كل أماكن وجوده، ثم لمشاركة عربية أوسع، مثلما كان الوضع بعد انطلاق المقاومة الفلسطينية بعد حرب عام 1967.

الغزازوة لا يستكينون. هم محاصرون لأنهم أباة مقاومون. لا مستوطنات إسرائيلية في قطاع غزة، رغم محاولة زرعها هناك. ورغم حصارهم، هدموا الجدران وأزالوا الأسلاك الشائكة وخاضوا ثلاث حروب. لو كان لديهم العمق الجغرافي الذي يحتاجه المقاومون لتطورت مقاومتهم وزادت فعاليتها. يوما ما، لعله قريب، تنطلق مسيرات العودة إلى فلسطين من مناطق مختلفة ولا تتوقف إلا عند وصول المشاركات والمشاركين فيها إلى مدنهم وقراهم. لنستعد لمثل هذا اليوم.

= = =

[1] http://www.uwindsor.ca/law/rbahdi/sites/uwindsor.ca.law.rbahdi/files/iraq_sanctions_and_security_a_critique.pdf

12 عاما في خدمة الثقافة

عود الند تبدأ عامها 13



تبدأ مجلة «عود الند» الثقافية العام الثالث عشر في خدمة الثقافة بصدور هذا العدد، الفصلي التاسع، صيف 2018. وكانت «عود الند» صدرت كمجلة شهرية في عام 2006، واستمرت في النشر كدورية لها رقم تصنيف دولي (ISSN 1756-4212) طوال عشر سنوات. بعندئذ تحولت إلى مجلة فصلية، أي تصدر أربع مرات في السنة.

صدرت «عود الند» في فترة كان فيها الكثير من المواقع الثقافية والمنتديات والمدونات الشخصية.

وتبين عندئذ انتشار الاعتماد على النسخ واللصق، وضعف التمكن من اللغة العربية. ولهذا، لم تكن سمعة النشر الإلكتروني حسنة في ذلك الحين.

كان المنطق يقول إن نجاح صدور مجلة ثقافية إلكترونية تخالف ما عرف عن النشر الإلكتروني غير ممكن. ولكنها صدرت ونجحت لأنها اختارت السير على درب الجودة، وسبحت عكس التيار الجارف.

«عود الند»، المجلة الإلكترونية، اختلفت عن السائد في ذلك الحين بالحرص على ما يلي.

أولا هي صدرت كمجلة بالمعنى المتعارف عليه للكلمة، أي أن تكون نشرة دورية وليست موقعا يتجدد في أي وقت.

رفضت «عود الند» أن تلجأ إلى ممارسة النسخ واللصق بإعادة نشر ما هو منشور في مواقع أخرى، ولم تقبل الحجة القائلة إن لكل موقع جمهوره.

رفضت «عود الند» أن تلجا إلى ممارسة نسخ ولصق النصوص كما ترد من مرسليها، فلم يعرف عن المواقع في ذلك الحين الاهتمام بمراجعة النصوص

قبل نشرها للتأكد من أنها خالية من الأخطاء النحوية والإملائية وملتزمة بأحكام الطباعة وصالحة للنشر.
اعتمدت «عود الند» سياسة نشر معلنة وواضحة ومرنة. كل ما ورد للنشر وكان منسجما مع سياسة النشر تم نشره دون تأخير.
تقرر نشر «عود الند» شهريا كي يكون هناك وقت كاف للعمل على مراجعة النصوص قبل نشرها.
النشر في موعد محدد، وهو الأول من كل شهر، أكد أن «عود الند» ليست موقعا ثقافيا، بل مجلة دورية بالمعنى المتعارف عليه، ولكن بدل أن تكون ورقية، كانت رقمية. أما من حيث معايير الجودة، فهي تضاهي معايير ما نشر في الماضي من مجلات ورقية حسنة السمعة.
عززت «عود الند» صفتها كمجلة بالحصول على رقم تصنيف دوريات (ISSN 1756-4212) من المكتبة البريطانية، الهيئة المسؤولية عن منح هذا الرقم للدوريات التي لها مقر في بريطانيا (ناشر المجلة مقيم في لندن).
تعاملت «عود الند» باحترام شديد مع الراغبات والراغبين في النشر فيها، فهي مثلا تبعث رسالة شخصية للمشاركات والمشاركين في العدد ليكونوا أول من يعلم بصدوره.
تعاملت «عود الند» مع مرسلي ومرسلات استفسارات قبل النشر باحترام شديد، فهي ترد على الاستفسارات، رغم أن معظمها مكرر، والإجابة عنها منشورة في المجلة لمن يبحث عنها قبل إرسال الاستفسار.
لم تضع «عود الند» قيودا على الراغبات والراغبين في تصفح المجلة، فكل صفحات المجلة مفتوحة ولا يوجد أي قيد على ذلك، من قبيل التسجيل في موقعها قبل التمكن من تصفح المواد.
لم تسعَ «عود الند» إلى الحصول على تمويل من هيئات عربية أو أجنبية لدعم صدورها واستمراره.
لم تسعَ «عود الند» إلى وضع أي نوع من الإعلانات التي تعود على المجلة بدخل مالي يتناسب مع عدد الزيارات لموقعها. موقع المجلة من المواقع القليلة الخالية من إعلانات غوغل وغيرها.

بعد التحول إلى مجلة فصلية، واصلت «عود الند» السير على درب الجودة التي عرفت به. ونظرا لتوفر المزيد من الوقت بين عدد وآخر، صارت

المجلة تصدر بصيغتين رقميتين، الأولى النصية التي تقرأ في موقع المجلة، ويمكن التفاعل الفوري معها بكتابة تعليق. أما الثانية فهي صيغة بي دي اف، التي تحاكي النشر الورقي.

مع أن «عود الند» لم تكن أول من دخل ميدان النشر الثقافي الإلكتروني، إلا أنها، خلافا لمبادرات أخرى، استمرت فيه رغم محدودية الموارد المتوفرة لها لعمق الإيمان بأن خدمة الثقافة رسالة سامية تستحق التضحية من أجل استمرارها. وقد وفرت منبرا ثقافيا راقيا بديلا ليس تابعا لمؤسسات رسمية أو ممولا من هيئات محلية أو خارجية.

وتجدر الإشارة إلى أن المفاضلة بين نشر المجلات ورقيا وإلكترونيا، التي اعتبرت النشر الورقي معيار الجودة، والإلكتروني سيئا أو ثانويا في أفضل الأحوال، لم تعمر طويلا، فقد انتشر الإنترنت نفسها وزاد الاعتماد عليها، وغيرت عادات القراءة. وكان من نتائج ذلك، توقف مجلات وصحف عن الصدور تماما، او الانتقال إلى النشر الإلكتروني. حدث هذا أولا في الدول الغربية، ثم انتقل إلى الدول العربية، فصحيفة «السفير» اللبنانية توقفت عن الصدور تماما. وصحيفة «المجد» الأردنية توقفت عن الصدور ورقيا، وتصدر حاليا إلكترونيا فقط. وفي المجال الثقافي، توقفت مجلة «الآدب» عن الصدور ورقيا، وعادت بعد حين إلى الصدور إلكترونيا.

سوف تظل مجلة «عود الند» الثقافية مستمرة على درب الجودة وخدمة الثقافة على أساس غير تجاري. وسوف ترحب دائما بالراغبات والراغبين في النشر وفق سياسة النشر المعلنة. كل محاولات ثنينا عن تغيير سياسة النشر فشلت. المجلة صدرت للمساهمة في الارتقاء بالثقافة، وليس لاستغلالها لجني مال. ورسالتها كانت ولا تزال جعل النشر الثقافي الراقي غير محتكر من مؤسسات رسمية أو غير رسمية.



زينب عـودة

غزة: صور من مسيرات العودة



شهد قطاع غزة استجابة باهرة للدعوة إلى مسيرات العودة إلى فلسطين، فالمشاركة الجماهيرية كانت كبيرة، وتكررت المسيرات أسبوعيا. وفي المسيرة التي تمت يوم 14 أيار (مايو) 2018، المتزامنة مع الذكرى السبعين لنكبة فلسطين، ونقل مقر السفار الأميركية إلى القدس المحتلة، أطلقت القوات الإسرائيلية النار على المتظاهرين، فاستشهد العشرات، وأصيب المئات بجروح متفاوتة الخطورة. وثمة دعوات الآن لفتح تحقيق دولي فيما حدث. الزميلة زينب عودة مصورة محترفة مقيمة في غزة. وقد خصت «عود الند» بالصور أدناه من مسيرات العودة إلى فلسطين المنطلقة من حصار غزة المحاصر برا وبحرا وجوا.




تصوير زينب عودة
عود الند


تصوير زينب عودة
عود الند


تصوير زينب عودة
عود الند


تصوير زينب عودة
عود الند


تصوير زينب عودة
عود الند

د. فاطمة صغير

مظاهر أدبيّة النّص النّثري عند محمد البشير

ساهمت الجزائر في إقامة صرح الأدب العربي، بما أنتجه أبناؤها من أعمال فنيّة، أبدعوها على مرّ العصور، فجاءت ناقلة لروح الفرد الجزائري ومترجمة لأحداث بيئته، وهذا الأمر تؤكده مختلف النّصوص الأدبيّة، سواء كانت شعرا أو نثرا.

ومثلما قامت دولة الشّعر في الجزائر، على يد أعلام إتّخذوا الكلام الموزون والمقفى قالبا لإبداعهم، مسجّلين أسماءهم بوضوح في صفحات تاريخ الحياة الأدبية الجزائرية، كبكر بن حمّاد والإمام أفلح وعبد الكريم النّهثلي وعليّ بن أبي الرّجال ومحمد الهادي السّنوسي الزّاهري ومحمد العيد آل خليفة ورمضان حمّود ومفدي زكريا والأمين العمودي وأحمد سحنون وغيرهم كثير، فإنّنا نجد كذلك لفيفا من الأدباء آثروا الكلام المرسل على القريض، مخلّفين دُرراً ونفائس في ميدان الكتابة الفنيّة، فأرسوا بذلك قواعد دولة النثر الجزائري.

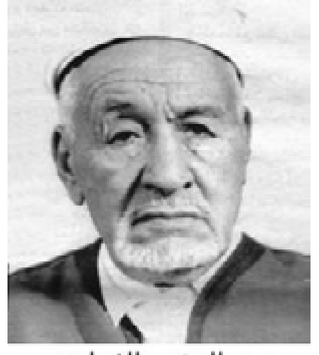
وما من شك في أنّ النّثر الجزائري، هو الآخر ذو بدايات وجذور تعود إلى القديم، ليستمر الخوض فيه إلى غاية العصر الحديث، فواكب مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر كالاحتلال والمقاومة والإصلاح والثّورة والاستقلال وبناء الدّولة والإرهاب وغيرها من الوقائع التي انطبع بها المجتمع الجزائري وميّزته عن غيره من المجتمعات الأخرى.

وإذا جئنا نتحدث عن النّثر الجزائريّ الحديث، فإنّنا سنشير إلى جملة من الأشكال النّثريّة التي تكوّنه، علما أنّنا نميز فيها فنونا تقليدية وأخرى جديدة، إلاّ أنّ جميعها استقطبت أقلام الكتّاب والمبدعين.[1]

وتتلخص الفنون النّثرية التقليدية في الخطب والرسائل والمقامات والمناظرات وأدب الرّحلة، وقد أثريت من قبل عدد من الكتّاب مثل الطيّب العقبي والورتيلاني وحمدان خوجة ومحمد الشّاذلي القسنطيني، مثلما سار

آخرون قدما بالفنون النّثرية الجديدة التي تتمثل في المقال والرّواية والقصة والمسرحية.[2]

ويرى أصحاب الدّراسات النّقدية أنّ النّثر الجزائري الحديث، يمثّله اِتجاهان: اِتجاه محافظ وآخر مجدّد، ولكلّ منهما خصائص فنيّة، انطبعت بها كتابات روّادهما[3]، ليتواصل بعد ذلك تطوره في الفترة المعاصرة تحت وطأة ظروف اجتماعية جديدة ومغايرة عمّا كان سائدا في السّابق، علما أنّنا نلمس هذا التّطور فيما أنتجه فريق من الكتّاب الذين واكبوا المرحلة الجديدة التي شهدتها الجزائر، إذ لم تعد موضوعات الثورة ومنجزاتها هي المسيطرة على أقلامهم، وإنّما توجهوا إلى قضايا المجتمع وما صار يكتنفه من تناقضات، مثلما تجسّده لنا أعمال الطّاهر وطار وابن هدوقة ووسيني لعرج وأحلام مستغانمي.


محمد البشير الإبراهيمي

ومع ذلك نؤكد على أنّ الحديث عن النّثر الجزائريّ الحديث، لا يكتمل إلاّ بوقوفنا عند كتابات العلامة المصلح محمد البشير الإبراهيمي، وإن كان يمثّل المدرسة المحافظة بل ورائدها الأوّل الذي تمكّن من الجمع في شخصه الكريم بين عدّة توجهات، ذلك لأنّه العالِم والمؤرِخ السّياسي والأديب والمصلح والمربي الذي أذعنت له هامات الفكر، اِعترافا بفضله وجهوده المنصبّة على الاِرتقاء بالعلم، ولأجله راح يعمل على تأسيس المدارس ويصحّح طرق التّعليم بنبذه لأسلوب التلقي الأعمى الذي لا ينفع وكذلك تصدّيه لآراء بعض الطّرقية التي رآها مفسدة للتّصوف الحقيقي.[4]

لقد حاز الشّيخ الإبراهيمي، بما امتلك من علم، تقدير كبار رجال الفكر الذين عرفوه واحتكّوا به، فهو عندهم العالِم الموسوعي واللّغويّ المحقّق والفيلسوف المدقّق والفقيه المتضلّع والأديب الذي له أسلوب يضارع أساليب فحول الكتّاب، فاستحقّ بذلك ثناء العلماء، كشيخ الشّام محمد بهجت البيطار الذي رآه بمثابة دائرة معارف، وإعجاب الطّلاب كجميل صليبا الذي كشف في مذكراته عن اغتباط الطلبة بدروسه، ذات الأسلوب العذب عذوبة الماء

الزّلال[5]. وهذه المكانة الجليلة لشيخ العربية في نفوس أهل العلم حملت كذلك الشعراء على الإشادة بخصاله ومحامده، ومنهم محمد العيد آل خليفة.

أمّا رفيق دربه وصنوه في الأعمال الجليلة: العلاّمة عبد الحميد بن باديس فيجعله فخر علماء الجزائر[6]، وهي شهادة عالِم جليل متبصر بعقول الرّجال، تؤكّدها أكثر وترسّخها جملة الجهود العلمية التي قام بها شيخنا، رغم أنّه يصرّح في مقولة له أنّه لم يضع المؤلفات والتصانيف حيث يقول «لم يتّسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلاً ولكنّني أتسلى بأنّني ألّفتُ للشّعبِ رجالاً وعملتُ لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصحّحت له دينه ولغته فأصبح مسلماً عربياً»[7].

أثر البشير الإبراهيمي في الحياة الأدبية

إنّ المتتبع لجهود البشير الإبراهيمي تتجلّى له حقيقة مفادها أنّه لم يبرز فقط في ميدان الإصلاح والمقاومة، وإنّما ساهم كذلك في إثراء الحياة الأدبية في الجزائر، عن طريق العديد من الآثار التي خلّفها وراءه في شتى المجالات.

ففي الميدان اللّغوي لم يكتف بالحرص على تعليم النشء اللّغة العربية، والعمل على أن تأخذ مكانتها الشّرعية في المجتمع الجزائري كلغة أمّ، وإنّما خصّها كذلك بالعديد من الدّراسات، تتمحور موضوعاتها حول قضايا لغة القرآن، في مستوياتها الأساسية كالمستوى الصّوتي الذي تناوله من خلال رسالة تطرّق فيها إلى مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعاميّة، إضافة إلى المستوى الصّرفي حيث تعرّض للأوزان والضمائر والأبنية، فوضع كتاب «أسرار الضمائر في العربية» وكتاب «نظام العربيّة في موازين كلماتها» وكتاب «الصّفات التي جاءت على وزن فَعَلَ» وكتاب «النُّقايات والنُّفايات في لغة العرب»[8].

وعدا المجال اللّغوي، أثرى البشير الإبراهيمي ميدان التأليف بالكثير من المصنّفات، أشهرها رسالة الضّب التي نزع فيها منزع الجاحظ في كتابه «الحيوان»، فقد عرض لنا حقائق علمية عن هذا الحيوان، كاشفا فصيلته وصفاته وحضوره في حضارات الأمم، مبيّنا إشارة العرب إليه في أمثالهم وأشعارهم.[9]

ولم يقتصر باع الشيخ على التأليف وإعداد الأبحاث والدّراسات، وإنّما

راح يبدع في بعض الفنون الأدبية كالرّواية التي أبدع فيها نصًّا سمّاه «كاهنة الأوراس»، والمسرحية التي وضع فيها نصًّا عنوانه «رواية الثلاثة»، وهي عمل مسرحي شعري، يقع في ثمانمئة وواحد وثمانين بيتا، أعدّه وهو في منفاه بمدينة آفلو[10]، وهذه الرّواية، تكشف مقدرة البشير الإبراهيمي على قرض الشّعر، فقد نظّم أرجوزة سمّاها «ملحمة»، وهي تقع في ستة وثلاثين ألف بيت، وذات مواضيع متعدّدة، يتّصل بعضها بتاريخ الإسلام والبعض الآخر بمشاكل المجتمع الجزائري.[11]

وهذه الأعمال الأدبية تؤكد عمق ثقافة صاحبها، وأصالة فكره، المصقول بالثقافة العربية الإسلامية ولذلك نجدها ترسخ انتماءه إلى العروبة وتثبت انصهاره في قوميته.

والواقع أنّ ثقافة الإبراهيمي تلك، تقوم على تنوع المعارف وتعدّدها، فقد أقبل على ينابيع التراث العربي في عصوره المختلفة، حيث حفظ دواوين شعرية لفحول الشّعراء الجاهليين والإسلاميين، كما أحصى ألوانا من فنون النثر من خطب ومقامات وحكم وأمثال، الأمر الذي أعانه على اكتساب لغة ناصعة البيان، ترقى في أساليبها إلى اللّغة العربيّة في أزهى عصورها وأنقى فصاحتها وأفتن جمالها، وهذا ما نلمسه في ذلك العدد الهائل من الخطب التي كان يلقيها في مناسبات كثيرة، والمقالات التي دجّج بها مختلف الجرائد الوطنية والعربيّة، فضلا عن الرّسائل التي خصّ بها بعض رفاقه وخلاّنه.

وما من ريب في كون هذه النّصوص النّثرية التي حبّرها البشير الإبراهيمي في فنون الخطابة والمقالة والرّسالة، تجسّد دوره الفعّال في إرساء أسس النّثر الفنّي في الجزائر من خلال توظيفه للأساليب الراقية، ذات اللّغة الجزلة والصّور المشحونة بالدّلالات والإيحاءات، فشكلت كتاباته نموذجا راقيا للبيان العربي في صوره المشرقة،[12] ممّا دفع ببعض الدّارسين إلى الحديث عن خاصّية فنّية، يصطلح عليها بالأدبيّة.

الأدبيّة وصلتها بالنص

شغل النّص حيّزا كبيرا في الدّراسات النّقدية الحديثة والمعاصرة حيث اهتمّ المنّظرون بتحديد ماهيته وإيجاد المناهج المناسبة لمقاربته مقاربة علمية صحيحة.

وممّا تتفق بشأنه تلك الدّراسات أنّه نسيج من الكلمات، يترابط بعضها ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كليّ متماسك،[13] ممّا يعني أنّ كاتبه يقوم بضمّ عناصر لغوية، ويربط بينهما لتصير كلاّ منسجما ومترابطا، ولأن توالي العناصر اللّغوية، هو أساء بناء النّص اعتبره معظم النقّاد بنية لغوية، ذات مدار مغلق، أي مكتفيا بذاته ولا صلة له بسياقه.[14]

ولم تقف الجهود عند حد كشف حقيقة النّص، وإنّما راحت تبحث فيما يجعل النّص نصا أدبيا، فتنوعت لأجل ذلك الأبحاث وتعددت، مهتدية في الأخير إلى مصطلح الأدبية، وهو لفظ وليد النّقد الحديث، أطلقه الدّارسون النقّاد على ما يجعل الخطاب العادي ممارسة فنّية إبداعية، وقد أبدعه رومان جاكبسون سنة 1919 م من خلال عبارته المشهورة «موضوع علم الأدب ليس هو الأدب ولكن الأدبيّة أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيّا».[15]

ومنذ ذلك الحين تضاعفت الأبحاث المتّصلة بالأدبية، كاشفة صلتها بالأدب الذي لا يكون كذلك إلاّ بها، بمعنى أنها مجموع الصّفات التي يتصف بها الأدب وتشكّل جوهره. فالنّص الأدبي إذن يتوفر على صفات ومميزات وخصائص تصنع فرادته[16] وتسوّغ لنا نعته بالأدبية التي بدورها تجعل القارئ مفتنا بهذا النّص دون غيره من النّصوص.

ولأنّ الأدبية تمثّل ما اشتمل عليه النّص من مميزات وعناصر فيه، فإنها تطلب من خلال لغته وصوره الأدبية إضافة إلى إيقاعه، وهذا لا يتأتى إلاّ عن طريق القراءة النّسقية، لأنّها وحدها الكفيلة بكشف نظامه ونسقه الذي يجعل منه عملا متميزا.[17]

ولذلك يتفق النّقاد على أنّ القراءة النّسقية هي مقاربة داخلية للنص، بغية الوقوف على مكوناته الذاتية التي تحوّل الخطاب من سمته العادية إلى ممارسة فنّية، تظهر من خلالها جماليته التي لا تتحقق إلاّ عن طريق الصياغة، فهي وحدها تحدّد قيمة النّص الفنّية أي أدبيّته، فكلما أحسن الكاتب الرّبط بين مكونات النص وأجزائه، كلّما تحققت الأدبية، إذ أنّها لا تعود إلى عنصر ما في النّص، ولا إلى مجموعة عناصر، دون الأخرى ولا إلى صورة فنّية بذاتها، أو انزياحات ما، تبدو هنا وهناك، بل هي وليدة جميع أجزاء الخطاب الأدبي، أي وليدة التركيبة الكليّة.

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أجمع الباحثون على ريادته في ميدان النثر الفنّي، ذلك لأنّه سما بأسلوبه إلى مرتبة عالية في البيان العربي، بما وظّفه من لغة فخمة جزلة، وأساليب بلاغية متنوعة، إضافة إلى قدرته على توليد المعاني، وغيرها من المميزات التي جعلته يرتقي إلى مصاف البلغاء المشهورين كالجاحظ.

مظاهر الأدبية في كتابات البشير الإبراهيمي

من خلال تتبعنا لمفهوم الأدبية عند النّقاد، توصّلنا إلى أنّها تمثل كلّ السّمات أو المميّزات أو الخصائص أو الصّفات التي تجعل خطابا ما ينعت بالأدبية. وبالنسبة لكتابات الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي فإنّها تطفح وتزدهي بمثل هذه الأوصاف، ممّا جعلها خطابات غير عادية، وإنّما ممارسات فنّية إبداعية، تتجلى فيها تلك الفرادة التي أشار إليها تودوروف.

وقبل أن نكشف عن السّمات المميّزة لمادته الأدبية، نشير إلى أنّ جميع الدارسين والنّقاد، يجمعون على أنّ صاحب البصائر أوتي فحولة أدبية قلّما تتأتّى لكاتب غيره، بل لكأنّ أبا عثمان الجاحظ قد تمثل فيه، لما حققه في ميدان النثر الفنّي، فخطبه ورسائله ومقالاته تمثل أرقى أساليب اللّغة العربيّة، وتشي بقدرة عجيبة على تحبير النّصوص وزخرفة القول، وتمثل دليلا على موهبة أدبيّة فذّة. يقول في هذا المقام عبد المالك مرتاض:

«يسمو أدبه إلى ذروة الفنّ الأدبي، ونحن نحسب أنّ هذه الفترة لم تعرف كاتبا ينحو منحى أبي عثمان الجاحظ في كتابته دون أن يبدو عليه تكلّف أو ضعف أو جدب في القريحة أو ضحالة في المفردات اللّغوية كمحمد البشير الإبراهيمي».[18]

كما يراه الباحثون صاحب أسلوب عربيّ أصيل، يستمد أصالته من التّراث الأدبي القديم، القائم على حسن السّبك وجودة الحبك وبراعة التحبير، وكل ما تتطلبه معاني الأصالة التي أشار إليها أحمد حسن الزّيات: «وملاك الأمر ألا تكتب كما يكتب النّاس، ملاكها أن تكون أصيلا في نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك».[19]

ولأنّ دراسة الأدبيّة في أيّ خطاب تعتمد على النظر في جملة من

العناصر وهي: اللّغة والأسلوب والإيقاع، فإنّنا سنتتبّع هذه العناصر في نثريات الإبراهيمي، بهدف الوقوف على الأدبية فيها. ينطلق النّقاد من حقيقة ثابتة، تتمثل في أنّ الخصائص المميّزة لأسلوب الأديب تظهر من خلال طريقة تفاعله مع اللّغة؛ لأن أسلوبه ليس سوى نتيجة للتفاعل بين ذاته واللّغة.[20]

واللّغة عند الإبراهيمي ذات ثلاثة مستويات: المستوى الشّعري والمستوى الخطابي والمستوى التقريري. وممّا لا شكّ فيه أنّ المستويين الخطابي والتقريري لهما علاقة وثيقة لأنّ اللّغة فيهما تعتمد على المباشرة والمنطق، وتتخلّى عن بعض المتطلبات البلاغية، مكتفية بعرض الحقائق ولذلك فإنّها ذات دلالات محدودة ومقاصد واحدة لا تتعدى المعنى الظّاهري.

ومن هنا فإنّ الأدبية ستتجلى في المستوى الشّعري، حيث نجد لغته مشحونة بالذاتية، مثلما يظهر في هذا النّص: «يا عيدُ بأيّة حال عُدْت؟ وهذه فلسطين - التي عظّمت حرماتك ثلاثة عشرة قرنا ونصف قرن، وتأرّج ثراها بالأثر العاطر من إسراء محمّد، واطمأنّت - من أوّل يوم - قلوب أبنائها بهدي القرآن»[21]. فاللّغة هنا تساير الموقف الانفعالي لصاحبها، تنمّ عن مشاعر حزينة، وممّا زاد في تعميق الانفعال، استعانته بالتعبير الشعري: «عيد بأيّة حال عُدْت يا عيدُ».

والملاحظ أنّ لغة كاتبنا في مستواها الشّعري، تقوم على خاصية الانزياح اللّفظي والدّلالي، وهي من أبرز مظاهر أسلوبه، يلجأ إليها بهدف التأثير الجمالي والفنّي كما في قوله: «إنّ بين جنبيّ ألما يتنزى، وإنّ في جوانحي نارا تتلظّى، وإنّ بين أناملي قلما سِمته أن يجري فجمح».[22]

فالدّلالة الأصلية للفعل «جمح» إمّا للمرأة حين تهجر بيت الزوجيّة، أو للفرس في حالة سرعة وإنفلات، ممّا يعني أنّ الاستعمال أعطى دلالة للفعل لأن الجموح لا يكون للقلم، وإنّما جاء كذلك من أجل التعبير عن دلالة نفسيّة تتمثّل في جياشان الخواطر، إضافة إلى التعارض بين سمات الفعل «جمح» والقلم، وهذا منبع شعرية النّص.

ومن ذلك أيضا قوله «ورضيتُ فوق الرّضى بأبوتك لي أن رضيت ببنوتي لك، ويمينا لو تبرّجت لي المواطن في حللها وتطامنت لي الجبال بقللها لتفتنني عنك لما رأيتُ لك عديلا ولا اتخذتُ لك بديلا».[23] ففي هذا المقطع نجد لفظين خرجا عن دلالتهما المعجمية ليلجا سياقا جديدا فاكتسبا دلالة

مغايرة، مشحونة بالمعاني النّفسية، حيث كشف الفعل الأول عن قداسة الانتماء إلى الوطن، كما دلّ الفعل الثاني على عزّة النفس إبائها.

وبالإضافة إلى ما تقدّم، نجد الإبراهيمي يحسن اختيار ألفاظه ويعمد إلى تركيبها فنّيا، مثلما نراه في هذا المقطع حيث يقول:

«أيْ أبنائي المعلّمين: هناك أمم تقدّمتكم في العلم والمعرفة والنّظام، فخذوا من مبادئها العبرة، وخذوا من مصايرها العظة، وإنّ عبرة العبر لكم فيها أنّ العلم، وإن تشعبت أغصانه، وتفرعت أفنانه، وأسلس لها عصية حتى فتحت به مغلقات الكون، لم يغن عنها فتيلا مما تغني الأخلاق والفضائل»،[24]

فلفظة «فتيلا» أصدق دلالة من الألفاظ القريبة منها كـ: قليلا أو يسيرا أو شيئا، ذلك لأنّ القصد هو بيان أنّ النهضة لا تستغني عن الأخلاق والفضائل، فالعلم أعرج دونها.

وهذا الاختيار الدّقيق، تفسّره كذلك تلك المباني الصّرفية التي ينتقيها كبنية اِفتعال الواردة في قوله: «وكأنّنا استبدلنا بجنسيتنا الواحدة جنسيات متعدّدة، كلّها غريبة عنّا، وكلّها مجمعة على اهتضامنا وهضمنا»[25]. فصيغة اهتضامنا تدل على الجهد والمجاهدة التي يبذلها الاستعمار من أجل سلخ الأمّة الجزائرية عن مقوّماتها، ومن ثمّ فإنّها تدل على تكاثر الأحداث وتكثفها.

ومن الصّيغ كذلك توظيفه لِاستفعل في سياق حديثه عن دور جمعية العلماء المسلمين حيث يقول: «واستمرأت القراءة فآمنت بها وأنست واستوبلت الأمّية فكفرت بها واستوحشت منها»،[26] فصيغة اِستمرأ تدلّ على التّلذذ والإشباع التعليمي، أمّا صيغة اِستوبل فتدل على الشعور بالقرف والاِشمئزاز، وكذلك صيغة اِستوحش التي توحي بالخوف والشّر.

الأسلوب

يشير الدّارسون إلى أنّ أسلوب الإبراهيمي، يتميز بخاصية التّوليد الدّلالي، وهي ذلك التّمدّد الأسلوبي لفكرة ما، حيث يتسع محيطها الأسلوبي ليشمل أكثر من عبارة، وذلك للتّعرف على حجمها الأسلوبي.[27]. إنّ احتفاء الكاتب بهذه الميزة، يعكس عنايته بالفكرة واهتمامه بالمعنى بحيث يوصله بأوضح السّبل وأحسنها وأجملها، علما أنّ الإبراهيمي يستخدم التوليد بعدّة أشكال كالأوصاف والنّعوت كما في قوله:

«أمّا عن النّاس وأحوالهم فقد عرفت هذا الشعور الفياض من الأحياء المستضعفين بحقّهم في الحياة، وهذا الإصرار الدّائب على المطالبة به، وهذا المنطق الحكيم الذي يترجم تلك المطالبة وهذا البغض المتأجّج للاستعمار». [28]

يحضر في هذا النّص التوليد عن طريق جملة من النّعوت، تؤكّد موقف المستضعفين من الاستعمار، كما حقّق هذا الوصف إيقاعا موسيقيا نتيجة التوازن في الوحدات: الشعور الفيّاض؛ الإصرار الدّائب؛ البغض المتأجّج. ويتّخذ التوليد عند كاتبنا أشكالا أخرى، كالجملة الفعلية التي تساعد على التمدد الأسلوبي، ويظهر هذا في قوله «نحن في بحر لجيٍّ من الفتن المحيطة بالعروبة والإسلام، نغالب تيارها، ونروّض بالعزيمة زخارها، ونقاوم بالإيمان والثّبات إعصارها»،[29] فهذه الجمل أدّت وظيفة الوصف، معبرّة عن موقف الجزائريين من الاستعمار.

وغير الجملة الفعلية، يعمد الإبراهيمي إلى التّوليد عن طريق الترادف بهدف الإحاطة بالفكرة والإلمام بالمعنى، ولذلك نراه يأتي بجمل مختلفة الأساليب والتراكيب، ولكنّها تصبّ في المعنى الأساسي كما في قوله: «جرّبنا فصحت التجربة، وبلونا فصدق الابتلاء، وامتحنا فدلّ الامتحان على أنّ عرق الإيمان في قلوب هذه الأمة كعرق الذهب في المنجم».[30]

فهذا توليد بالترادف، يقوم على التكرار لأنّ الوحدات الألسنية الثّلاث هي في الأصل وحدة دلالية واحدة، لأنّها تؤكّد على أنّ الأمّة عريقة في حضارتها وتاريخها وعقيدتها.

ومن الأساليب التي تحضر بقوة في كتابات الإبراهيمي، أسلوب التّقديم والتّأخير الذي لا تظهر أدبيته فقط فيما يحدثه من خلخلة، وإنّما في الدّلالات التي تنشأ نتيجة لذلك التّصرف في مواقع عناصر الجملة. ومن أمثلته قوله:

«فكلّما هاجت به النّوبة، ارتكب جريمة وسنّ لها من القوانين ما يقوّيها ويغطّيها، ويسمّيها مصلحة، وجنّد لها من الأشخاص كلّ حاكم وكلّ طامع وكلّ ذي نحلة سيئة ومن الأعمال التطبيل والتزمير والإعلان والتشهير ومن المعاني الاستمالة والتسيير والاستهواء والتغرير».[31]

فالنّص يشتمل على خاصية أسلوبية، تحضر بقوّة في خطاب البشير الإبراهيمي، تتمثل في ظاهرة تقديم المتعلّق بالمفعول به عن المفعول به لدلالة

إضافية تكمن في كشف مسافة التّوتر بين أقوال المستعمر وأفعاله كما تعبّر عن الانفصام بين الذات: الوطن والأمة، وبين الآخر: المستعمر. ومن مظاهر الأدبية في كتابات الإبراهيمي، توظيفه لأسلوب الحذف بالإيجاز، لحاجة فنّية بليغة كما نجده في قوله:

«ومن العجيب أنّ خصومنا الأقوياء الأذكياء لم يذكروا كلّ هذا حينما أقدموا على فعلتهم وأتوا بها شنعاء على الأيام فأنتجت لهم هذه الحادثة، ضدّ ما أملوا، وأتتهم بعكس ما أرادوا، وقد أملى عليهم الحقد أن ينتقموا من هذه الأمّة فانتقمت منهم الأمّة ... فكشف لهم الغيب ما لم يعهدوا أو لم يتعوّدوا».[32]

يتجلىّ المحذوف في الضمير الغائب المتّصل بالأفعال: أملوهِ؛ أرادوهِ؛ يعهدوه؛ يتعوّدوهِ. حيث أنّ دلالته في الفعلين الأوّلين، تعني الانتقام من الأمّة، وهي مخالفة لدلالته في الفعلين الثّانيين لأنّها تعني الانتقام للأمّة.

الإيقـاع

الإيقاع يطال سائر الفنون القولية شعرا ونثرا، وهو ذلك التّكوين الصّوتي الصّادر عن الألفاظ المستعملة، ممّا يجعله وليد التّشكيل الصّوتي للألفاظ المستعملة في سياق ما وفي تنظيم صوتي ما. يحضر الإيقاع في خطاب الإبراهيمي، بشكل لافت للانتباه، ويقوم على توظيف بعض الفنون البلاغية كالجناس كما نراه في قوله «أتمثّله واسع الآمال إلى حدّ الخيال، ولكنّه يزجيها بالأعمال إلى حدّ الكمال ... أتمثّله مصاولا بالحجاج والإقناع ولا باللّجاج والإقذاع، مرهبا لأعدائه بالأعمال لا بالأقوال».[33]

ومن عناصر الإيقاع عنده، نجد السّجع المتوازي مثل قوله «خطّت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عينيّ عليك وأنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مطلقة؟ وكتبت الأقدار علي أن لا أملك من أرضك شبرا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبرا».[34]

وإلى جانب ذلك، يعمد الإبراهيمي إلى خصائص أخرى بغية تحقيق ما يعرف بالإيقاع المعنوي، فيوظّف الطّباق والمقابلة والتقسيم، ومن التقابل عن طريق الطّباق والمقابلة قوله «فلا تنسي أنّني ما زلت ألقى الأذى فيك لذيذا والعذاب في سبيلك عذبا، والنّصبة في خدمتك راحة والعقوق من بعض بنيك برّا، والحياة في العمل لك سعادة، والموت في سبيلك شهادة».[35]

ومن التّقسيم قوله: «أتمثّله بانيا لوطنه على خمس كما بُني الدّين من قبلها على خمس: السّباب آفة الشّباب، واليأس مفسدة للبأس، والآمال لا تدرك بغير الأعمال، والخيال أوّله لذّة وآخره خبال والأوطان لا تخدم بإتباع الشّيطان». [36]

لقد أدّى حسن التّقسيم إلى ترتيب المعاني كما أفضى إلى توازن الفقرات. وفضلا عمّا تقدّم، يحقّق شيخ العربية الإيقاع الدّاخلي عن طريق تكرار نمطي، يلازم تراكيبه في قوله: «ما زلتُ أُقارع الغاصبين في ميدان، وأكافح العابثين بحرُماتك في ميدان وأعلّم الغافلين في ميدان،[37] فنحن نلاحظ تماثلا تامّا وكاملا بين وحدات الفقرة.

والشّيح البشير، يعلم علم اليقين أنّ الأدبية، تتبدّى أيضا في الصّورة من خلال المجاز أو الاستعارة أو الكناية أو التّشبيه، فلننظر إلى مكنته في استخدام هذه الألوان، ولنقف شعورا على تأثيرها فينا. يقول:

«نأسى لك يا مصر. أن أنزلتك الأقدار بهذه المنزلة التي جلبت لك البلاء وجرّت عليك الشّقاء، سموّك «عروس الشّرق فكانّما أغروا بك الخطّاب ... ولو دعوكِ لبؤة الشّرق لأثاروا بهذا الاسم في النّفوس معاني الرّهبة ... عهدك التّاريخ صخرة من معدن الحقّ، تنكسر عليها أمواج الباطل ... وحذار من التّراجع فإنّ اسمه الصّحيح «الهزيمة» وحذار من التّردّد فإنّه سوس العزيمة». [38]

بمثل هذه اللّغة الشّعرية حبّر شيخ العربية نصوصه النّثرية ذات المظاهر الأدبية، فارتقى بها إلى مصاف الأقلام الجادّة الجامعة بين الفائدة والفنّية.

= = =

هوامش البحث

[1] عبد الله الرّكيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1983)، ص 13 و133.

[2] محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1983)، ص 12.

[3] عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط)، ص 340 و359.

[4] عبد المالك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، منشورات وزارة الثقافة والسّياحة، (الجزائر، الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، 1984)، ص 20، 27، 58.
[5] محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، (الجزائر، عالم الأفكار للنشر والتّوزيع، د ط، 2007)، ص 06.
[6] وزارة الشؤون الدّينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 6، (الجزائر، 1994)، ص 156.
[7] محمد البشير الإبراهيمي، «أنا»، ج 21، (القاهرة، مجلّة مجمّع اللّغة العربيّة، 1966)، ص 101.
[8] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، (وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ت)، ص 70-71.
[9] المرجع نفسه، ص 72.
[10] مج من الكتاب، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، (شركة دار الأمّة، ط 2، 2007)، ص237.
[11] محمد الطّاهر فضلاء، الإمام الرّائد: محمد البشير الإبراهيمي، (قسنطينة، مطبعة البعث، 1967)، ص 166.
[12] إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، (منشورات الاختلاف، ط1، 2010)، ص 220.
[13] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، (منشورات الاختلاف، ط 1، 2008)، ص 22.
[14] تزفيتان تودوروف، الإرث المنهجي للشكلانية، تر: أحمد المديني، سلسلة المائة كتاب، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط 1، 1987)، ص 12.
[15] تزفيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري مبخوت ورجاء بن سلامة، (سلسلة المعرفة، ط 1، 1987)، ص 31.
[16] عبد الله الغذامي، الموقف من الحداثة، (جدّة، دار البلاد، ط 1، 1987)، ص 144-145.
[17] عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص73.
[18] أحمد حسن الزّيات، دفاع عن البلاغة، (القاهرة، عالم الكتب، 1967)، ص 95.

[19] عزّ الدّين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثّوري، (بيروت، دار القلم، ط1، 1974)، ص 27.
[20] البشير الإبراهيمي، البصائر، ع 12، 1947، ص 2.
[21] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ج 2، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، 1978)، ص 526.
[22] المصدر نفسه، ص 486.
[23] المصدر نفسه، ج، ص 159.
[24] المصدر نفسه، ص 385.
[25] المصدر نفسه، ص 157.
[26] عبد الحميد بوزوينة، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، 1983)، ص 24.
[27] آثار الإبراهيمي ج2، ص 20.
[28] المصدر نفسه، ج 3، ص 55.
[29] المصدر نفسه، ص 273.
[30] المصدر نفسه، ج 2، ص 480.
[31] المصدر نفسه، ج 1، ص 209.
[32] عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 374.
[33] آثار الإبراهيمي، ج 2، ص 594.
[34] المصدر نفسه، ص 484.
[35] المصدر نفسه، ص 484.
[36] المصدر نفسه، ص 594.
[37] المصدر نفسه، ص 594.
[38] البصائر، عدد 178، سنة 1952، ص 1-2.
= = =

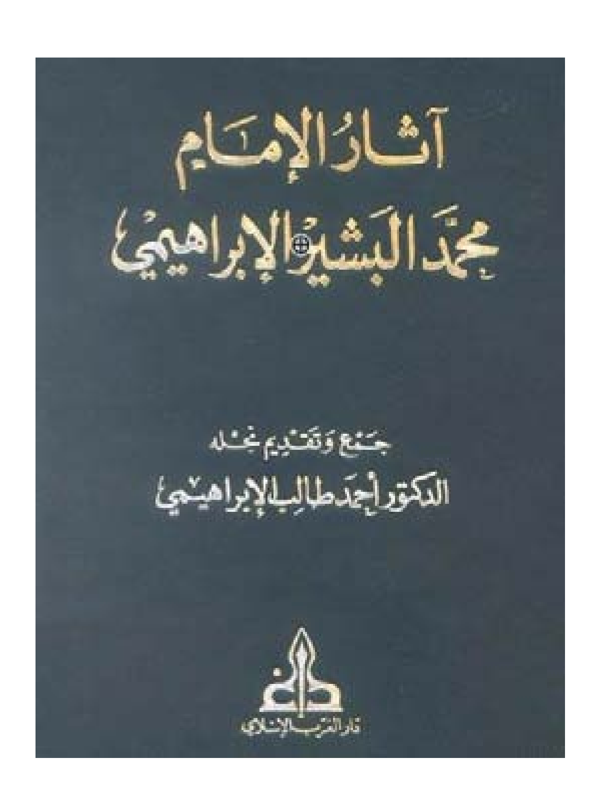
قائمة المصادر والمراجع

الإبراهيمي، أحمد طالب. آثار الإبراهيمي، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1978.

الإبراهيمي، محمد البشير. البصائر، ع12، 1947.

الإبراهيمي، محمد البشير. «أنا»، ج21، القاهرة، مجلّة مجمّع اللّغة العربيّة، 1966.
إسماعيل، عز الدين. الأسس الجمالية في النقد العربي.
إسماعيل، عزّ الدّين. الشعر في إطار العصر الثّوري، بيروت، دار القلم، ط1، 1974.
بوزوينة، عبد الحميد. بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1983.
تودوروف، تزفيتان. الإرث المنهجي للشكلانية، تر: أحمد المديني، سلسلة المئة كتاب، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط1، 1987.
تودوروف، تزفيتان. الشعرية، تر: شكري مبخوت ورجاء بن سلامة، سلسلة المعرفة، ط1، 1987.
الحسني، محمد الهادي. البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، الجزائر، عالم الأفكار للنشر والتّوزيع، دط، 2007.
خليل، إبراهيم. في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.
الرّكيبي، عبد الله. تطور النثر الجزائري الحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1983.
الزّيات، أحمد حسن. دفاع عن البلاغة، القاهرة، عالم الكتب، 1967.
الصبيحي، محمد الأخضر. مدخل إلى علم النص، منشورات الاختلاف، ط1، 2008
عباس، محمد. البشير الإبراهيمي أديبا، وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت.
الغذامي، عبد الله. الموقف من الحداثة، جدّة، دار البلاد، ط1، 1987.
فضلاء، محمد الطّاهر. الإمام الرّائد: محمد البشير الإبراهيمي، قسنطينة، مطبعة البعث، 1967.
مجموعة من الكتاب، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، شركة دار الأمّة، ط2، 2007.
مرتاض، عبد المالك. فنون النثر الأدبي في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط.

مرتاض، عبد المالك. محمد البشير الإبراهيمي، منشورات وزارة الثقافة والسّياحة، الجزائر، الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، 1984.
مصايف، محمد. النثر الجزائري الحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1983.
وزارة الشؤون الدّينية. آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج6، الجزائر، 1994.



نبيلة دين

النظرية الخليلية للعلامة الحاج صالح
قراءة في الأسس والمفاهيم

تعد النظرية الخليلية قراءة تقويمية جديدة لما تركه العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه خاصة. وذكرنا سيبويه لأن أغلب أقوال الخليل العلمية وجدناها مبثوثة في كتابه، حيث قام بتجاوز ما ذكره شيخه بتوسيع وتوضيح المفاهيم التي استقاها واستنبطها من شروحه ودروسه وتوجيهاته.

وقد بين العلامة عبد الرحمن الحاج صالح أهمية هذه النظرية في قوله: «وقد صارت النظرية منذ ذلك الوقت العماد النظري اللغوي لعدة دراسات قام بها باحثون من مختلف الآفاق العلمية وخاصة من مركز البحوث لترقية اللغة العربية بالجزائر من مهندسين في الحاسوبيات وأساتذة في اللغة العربية والإنجليزية وباحثين في أمراض الكلام» [1].

أولى الحاج صالح أهمية قصوى لهذه النظرية، ما يكشف لنا عن قيمتها في تحسين الطرح اللساني العربي وتوجيهه حسب ما يناسب اللغة والفكر والمفاهيم اللسانية العربية.

يتضح مما سبق أن ما خلفه لنا الخليل احتاج إلى تجديد وتطوير وبحث حتى يصبح عمادا وقاعدة لكل طرح أو نظرية لسانية عربية، مع العلم أن اللسانيات تجمع بين أطراف وتخصصات متنوعة من مهندسين وأساتذة ومختصين في أمراض الكلام.

وهذا ما حاوله عالمنا الخليل حين أراد الجمع بين المفاهيم اللسانية التراثية ونظيرتها المستحدثة، فقد مكنه فكره الموضوعي من أن يحافظ على خصوصية اللغة العربية مع محاولة مواكبة المفاهيم الجديدة المستحدثة.

ويقول الحاج صالح موضحا فكرة تأسيس نظريته: «وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة، وبخاصة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة الخليلية وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية. وكانت النتيجة أن تكون مع مرور الزمان فريق من الباحثين ... يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه» [2].

وهذا ما يبين اهتمام الحاج صالح بالتراث واشتغاله عليه وشدة حرصه على تحليله ومحاولة ربطه بالمفاهيم اللسانية الحديثة. ثم قال: «والذي نريد أن ينتبه إليه إخواننا الباحثون هو وجود نظرية استخرجها بعض الباحثين الجزائريين مما أخرجه علماء النحو الأولون» [3].

إذن هي نظرية لغوية لسانية حديثة مستقاة من المفاهيم النحوية لعلمائنا الأولين، ونخص بالذكر الخليل وسيبويه. وأهم الأسس والمعالم التي بنى عليها العلامة الحاج صالح نظريته يمكن حصرها في الآتي:

= مفهوم الاستقامة وما إليها وما يترتب على ذلك من تفريق بين ما يرجع إلى اللفظ وما يرجع إلى المعنى.

= مفهوم الانفراد في التحليل وما يتفرع من هذا المفهوم.

= مفهوما الوضع والعلامة العدمية.

= مفهوما اللفظة والعامل.

وتوجد مفاهيم أخرى متفرعة عن المفاهيم المذكورة مثل مفهوم الأصل والفرع؛ ومفهوم التفريع؛ ومفهوم القياس. وفيما يلي توضيح لهذه المصطلحات.

الاستقامة: تحيلنا الاستقامة إلى مرتكز التحليل للنحاة القدامى، الذي كان يقوم من جهة اللفظ وحده، ومن جهة أخرى على المعنى، فاللفظ إذا فسر بمفاهيم تخص المعنى، فالتحليل معنوي لا غير. أما إذا فسر اللفظ دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي، فالنحاة العرب لم يخلطوا أبدا بين هذين التحليلين، حيث يقول الحاج صالح: «فالتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصير» [4].

الانفراد وحد اللفظة: فالانفراد يمثل طريقة النحاة السابقين في ضبط وحدات اللغة سواء جملا أو ألفاظ، والتبرير لها بالاعتماد على اللغة ذاتها بإقحام شيء مفترض كما هو الحال في النظريات اللسانيات الحديثة مثل التوليدية. أما

مصطلح اللفظة فيعني الكلمة التي يمكن انفرادها، كما تعني الكلمة بلواحقها التي لا تخرجها عن بابها مع امكان نيابتها عن تلك الكلمة المنفردة. وإذا أردنا التوضيح بمثال نأخذ: الاسم الذي قد يكون كلمة مفردة وقد تدخل عليه زوائد لكن لا تخرجه عن حد الاسمية، التي تتسم بالانفصال والابتداء مثل: الطالب المتخلق الذي تفوق. اليوم لفظة واحدة مكونة من مجموعة كلمات، ولكن بقي الاسم على حاله ولم تخرجه عن بابه.

الموضع والعلامة العدمية: الموضع وهو ما يمثل المحل الذي يمكن أن يوضع فيه عنصر من العناصر المؤثرة، فإذا لم يحمل ذلك المحل عنصرا سمي علامة عدمية وهي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر.

العامل: يرتبط مفهومه في هذه النظرية بالبنية التركيبية للجملة، فالعامل هو المحرك الرئيس لعناصرها والموجه لعلاقاتها ولإسناد الحركات الإعرابية المناسبة لها.

الأصل والفرع: إن فكرة الأصل والفرع عند النحاة نجدها تتعلق بالعنصر الثابت أو النواة، أما الفرع فهو الأصل بزيادة ايجابية أو سلبية. والأصل كذلك هو ما يبني عليه ولم يبنى على غيره. والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من تحويل. [5]

المثال: ويعتبر مفهومت منطقيت رياضيت، وهو وزن الكلمة ومكون من عمليتين: العملية الأولى تضم الحروف الأصلية للكلمة. أما الثانية تهتم بالعلامة. العدمية، أي التغيرات الطارئة على الكلمة من خلال دخول الزوائد عليها.

القياس: هو أساس عول عليه كثيرا في جل القضايا النحوية وهو: «حمل شيء على شيء لجامع بينهما، وحمل شيء في الحكم، وهذا الحكم هو الذي يسمى في المنطق الرياضي تطبيق النظير على النظير bijection وتطبيق مجموعة على مجموعة حتى يظهر تطابق في البنية بين مجموعتين على الأقل» [6].

الوضع والاستعمال: باعتبار أن اللغة نظام من الرموز والعلامات ينتقي منها المتعلم ما يحتاجه للتعبير عن نفسه ووضعه واحتياجاته، فهي «قبل كل شيء وضع ثم استعمال الناطقين لها» [7]، وهذا ما يحتاج إلى عناية فائقة بالنحو والبلاغة. يقول الحاج صالح: «البلاغة في مظهرها الأول، أي كعلم

للمعاني/ هي امتداد لعلم النحو لأنها تنظر في كيفية استعمال الفرد لمعاني النحو وهي المعاني التي تدل عليها كل الوجوه التي يقتضيها النحو» [8].

هذا بإيجاز أهم الأسس التي بنيت عليها النظرية الخليلية، التي أسهم الحاج صالح من خلالها في محاولة بعث تراثنا القديم في ثوب جديد.

= = =

الهوامش

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، «النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيم الأساسية»، كراسات المركز، العدد 4 (2007): ص 11.
[2] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية (الجزائر: موفم للنشر، 2012)، ج1، ص 208.
[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 45.
[4] الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217.
[5] صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية (الجزائر: دار هومة، 2003)، ص 110.
[6] بلعيد، اللغة العربية العلمية، ص 109.
[7] المصدر السابق، ص 107.
[8] الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة، ص 383.

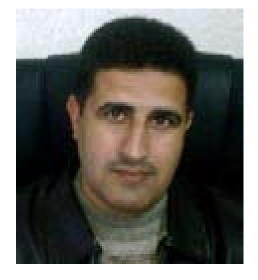
د. محمد سليمان السعودي

قراءة في قصة «رابعة العدوية: أم الخير»

صدر للكاتبة الأردنية، ظلال عدنان، في الآونة الأخيرة قصة موجهة للصغار عنوانها «رابعة العدوية: أم الخير، الزاهدة العابدة». القصة منشورة ضمن «سلسلة نساء خالدات» عن دار الاتقان، عمّان، 2018. أدناه قراءة د. محمد السعودي في الإصدار الجديد.

.

على دروب الجِدّة



أصدرتْ ظلال عدنان قبل «رابعة العدوية أم الخير» ثلاثة مؤلفات، اثنان منها في أدب القصة القصيرة هما «أنثى فوق الغيم»، و»انكسار الذاكرة»، والثالث في السياسة والاجتماعيات وهو «رحلة إلى كوسوفو».

إلاّ أنني لم أستطع هذه المرة إلاّ أن أدوّن شيئا عن هذه القصة «رابعة العدوية: أم الخير، العابدة الزاهدة» والصادرة عن دار إتقان، عمان، الأردن، 2018، ضمن سلسة نساء خالدات. لم أستطع تجاوز هذا لأسباب كثيرة، منها أننا نفتقر في الوطن العربي لكتابات قصصية جادّة تعمل على تنقيح التراث وتقديمه لعالم الطفولة موصولا بالواقع المعيش.

لعلّ تجذير هذه العلوم أمر صعب خاصة أننا ننشد تدرّجا عمريّا وكتابيّا وفكريّا لهذه الفئة خاصّة، وعلى ما نُشر من أعمال، فحياة الطفل مسرح مفتوح في كل يوم يرتضى شيئا لنفسه فيمسكه ويهضمه فهما وسلوكا وإدراكا.

وعلى كثرة هذه الأعمال المقدمة للطفولة إلاّ أنها تكاد تخلو من التقنيات البصرية واللمسيّة التي تجذب الطفل؛ فتفتعل خيطا بينه وبين الكتاب لا ينفك

كما فعل به جهاز الخلوي اليوم من خلال حاستي البصر والسمع، ناهيك عن غلاء أسعار تلك القصص على الفقراء وما أكثرهم في بلادنا، فلا الناشر يتنازل عن شيء من حقّه، ولا هم يملكون ما ينفقونه على شرائها.

لا شّك أن د. عبد الله الخبّاص المشرف على دار الإتقان مفكّر متجدّد، وأديب جريء قلمه، عميق مناله، لذا حمّل نفسه والمبدعين معه عناء فكريا ونفسيا كبيرا أن يخطّ مشروعه بنساء خالدات في زمن ذكر الرجل المرأة في نفسه من جديد وبصورة جديدة أيضا، فخرجت مجموعة قصصية رائدة تخص جيلا ما زالت أفكاره تتنفس، وصوره تنمو، وأدراجه تتوهج. حاولت هذه المجموعة المساس بالتراث الإسلامي العربي ولكن بتقانة جديدة جمعت مؤثرات العصر.



أمّا القصّة التي أنا بصددها فقد واءمت بين عالم مليء بفوضى القدوة اليوم، وشوق العربي لنماذجه الأولى الزكية مثل: رابعة العدوية» بعد أن انغمس قارئنا في دنيا الماديات. فالاختيار جاذب طريف لي شخصيا فكيف إذا كان لطفولة اليوم؟

طرائق التقديم

بين الكاتبة ظلال عدنان وبين الإخراج الفني علاقة وطيدة في القصة، ومواءمةٌ بين واقعنا المتجدد في عالم الحوسبة والمعرفة ولوازم حضارتنا العربية الإسلامية من خلال تشكيلات بصرية أخّاذة، وتداخلات لونية جاذبة، ربطت بين الخط الواضح المقروء الموسّع والمنوّن وتلك التشكيلات؛ فترى الحاسب، وألعاب الأطفال، وشنطة المدرسة وأرفف الكتب والمنبّه، والمزهرية، والوسادة داخل غرفة الطفل. وكلها ملوّنة محبّبة للنفس والروح.

كما أنك ترى صورة القرآن، والمسجد، والنخل، وطراز المآذن، وجرار الفخار، والسجادة، وشمعة الليل، وخيال العابد. وكان للون دور كبير في إظهار خبيئة الكتابة، فلك أن تقرأ النص المكتوب وفي الوقت نفسه تتمتع بتموجات

المياه تحت الجسر، وحركة العصافير، وخضرة المكان. في الجانب اللغوي الصرف، بنيت القصة على الجمل القصيرة، وهذا يمثل منطلقا عميقا للقصة التي تخاطب الطفل:

«يعيد ذات السؤال الأول: أين أنا؟! ومن أنا؟! قالت أمّه: أنا أمّك يا حبيبي، وأنت في بيتك».

ثم إن الألفاظ المستعملة بسيطة مناسبة لفهمه وإدراكه في هذا العمر:

«أجابته بعطف: من أحب شيئا أكثر من ذكره؛ وأنا أحببت ربّي، فأذكره في كل وقتي».

ولعل هذه الطريقة نوّعت في تشكيل المعجم اللغوي للقارىء، وإليك شيئا من هذا؛ فقد علت موجة الألفاظ الإيجابية التي تدفع إلى المحبة والسرور:

نظيفة، مرتبة، الورود، أبدعك، يحبونهم، شوقا، الرائع، جليلة، بهدوء، ذكي، مجتهد، فحفظت، أتجنّب، صعد، رقراق، بشوق، واثقا، خاشعة.

الصورة والنّص

لن أمكث طويلا عند الصورة؛ لأن أمرها عريض طويل، غير أني سأقف على نقطتين سريعا: التراث والبيئة. فقد ظلّت الصورة عامرة في تشكيل النص من خلال مصادر معرفية كثيرة، لعل أقربها التراث والبيئة. غير أنّ العناصر الأخرى لم تكن بعيدة عن المشهد، وإن كانت الصورة الأولى قد اكتسبت وجودها من خيال ممتد شكّلها حلم كامل، بكل نبضه وحركته وحياته:

«فإذا بسيدة جليلة يشعّ وجهها صفاء ونورا، تبتسم له. يسائلها متعجبا: من أنت؟ وأين أنا؟ وماذا تريدين؟ تجيب بهدوء: أنت يا بُنيّ في البصرة مسقط رأسي. وهؤلاء هم علماء عصري».

وأدركت ظلال أنّ البيئة تجذب الطفل بألوانها وأزهارها وترابها ولذلك استعملته في نسج الخيال:

«صعدا القارب، وأحاط بهما صمت الطبيعة الخلّابة؛ ماء رقراق شفّاف،

تتقافز أسماكه، وشجر يميل على ضفاف الماء، يبلّل أوراقه، وعصافير ملوّنة».

جوانب الحوار

يتردد الكاتب كثيرا في نَسْج حروفه الأولى؛ لأنه يبحث عادة عن خيط، وكانت بداية النّص «رابعة العدوية» مفاجئا لي، ذلك أنه بدأ بنص مقتبس على لسان طفل يحيا بيننا ويعيش فكرتنا في الحياة، طفل نتاج مجتمعه وحضارته يحمد الله أولا قبل كل شيء عند نومه وصحوه، وجعلت منه طفلا يتذكر آية «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبّونه» من خلال موقف صفّي، فكأنّي بالنص يدفعنا للمواءمة بين عروبتنا وإسلامنا وبين واقعنا المعرفي اليوم، ولذا شعرت بنقد مبطن بين حروفه، لا بدّ من خيال يرمي بذواتنا إلى حمم الأفكار لنستعيد ذاكرتنا.

إلاّ أننا نريد خيالا مفرحا سعيدا كما فعلت ظلال هنا، خيالا مليئا بالمحبّة والورود والحمرة والعطر، والنظافة والترتيب والسعادة، ففي الصفحة الأولى وحدها من القصّة وردت خمس عشرة لفظة تحمل معاني المحبة والسعادة من أصل ستين ونيف، وهي نسبة الربع.

خرج الحوار عن الصورة المعهودة في النّصوص، فنبع من الحدث نفسه؛ لأن انطلاقاته الأولى كانت من العمق الفكري لدى الشخصيّة العربية (المقدّس)، ولكنه بعد، غفل عنه ناس اليوم وإن كان ظاهرة في عصور خلت وهي محبّة الله واللجوء إليه بطريقة مختلفة عن الأهواء ونوازع النفوس:

«أما مَنْ أنا فرافقتني، فأنا عرفت ربي –عز وجل- حين أحببته»

حوار بدأ لينهض بالربط بين ماض جميل ننتقي منه ما يشّع حياتنا اليوم ولا نجلس عنده طويلا، بل نلجأ إليه مؤمّنين عصرنا وواقعنا.

وهكذا هو الحوار بين شخصيتي عمر ورابعة العدوية حينما حدّثها سابقا عن حفظه للقرآن ثم ما تبع ذلك في حديثه للسيدة رابعة عن الشبكة العنكبوتية، وكذلك ما ورد في تذكيرها في حديث التوكل على الله.

واتسم الحوار هنا بالقدرة على الربط بين مَنْ كان محبا لله طائعا له من خلال زمن طويل ومن يعيش واقعا مغلقا على النفس بكثرة الفتاوى وتشعباتها؛ فعندما ذكر لعمر اسمها ربطت ذلك بإسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وهي

درب جديد لدفع القارئ لمتابعة تلك القصص ونشرها في النفوس، وهذا يلزمنا بالبحث عن طرائق جديدة غير المباشرة المعهودة للاستزادة الطوعية من هذا التراث المشرق الذي يرتبط بالله وحده ولا يرتبط بسلطان أو طموح سياسي أو اجتماعي.

ولم يكن للحوار أن يهدأ حتى أوصلنا في مطاف القصة الأخير إلى أجواء المسرح «أبو الفنون»، ولا أقول قد تفلتت الحبال من يد الكاتبة إنما هو الانتقال الطبيعي للحوار الذي ينهض بالفكرة، ولذلك أوردت هذا المشهد:

وتردد في الأجواء:

أرجو أن تفوز برضى الرحمن ومحبته

أرجو أن تفوز برضى الرحمن ومحبته

حتى عندما انتفض عمر من نومه فزعا، بدأ حوار آخر مع أمّه كان قفلة الحكاية ومرادها لينسجم المشهد السابق المتخيل مع مشهد جديد متخيّل أيضا إلاّ أنه أقل عمقا في خياله، لتبرهن الكاتبة أنها أرادت أن تمضي بهذا الجيل في عوالم نفوس متجددة عند الأجيال جميعها، لكنها تخشى على هذا الجيل أن يسبح في عالم الشبكة الإلكترونية ويدع جيلا خلفه دون اكتراث، ولذا ذكرت على لسان أم عمر قول رابعة:

أحبك حبين: حب الهوى == حبا لأنك أهلٌ لذاك

فأما الذي هو حب الهوى == فشغلي بذكرك عمن سواك

وأمّا الذي أنت أهلٌ له == فلست أرى الكونَ حتى أراك

قفلة

تميّز الناشر في اختيار الألوان وتصميم الصفحات وموافقة هذا كله مع النص الكتابي المبدَع، وجانس بين البعد الإبداعيّ والتربويّ في القصّة؛ حينما وضع صفحتين للألعاب والأنشطة اللّغويّة من خلال أشكال متنوّعة وطرائق متعدّدة، قدّمها في أربعة أنشطة. ووافق النّص النّثريّ بنص شعريّ مواز للصديق الشّاعر راشد عيسى، مستقى من القصة نفسها، يدعو للتّفكر والتأمل والصبر.

رحيل الروائي جمال ناجي

انتقل إلى رحمته يوم الأحد، 6 أيار (مايو) 2018، الروائي الأردني جمال ناجي عن عمر يناهز 65 عاما. وكان الروائي الراحل تولى في الماضي رئاسة رابطة الكتاب الأردنيين (2001-2003). له روايات عدة ومجموعات قصصية من بينها «موسم الحوريات»؛ «غريب النهر»؛ «عندما تشيخ الذئاب»؛ «رجل خالي الذهن». وكانت «عود الند» نشرت في عددها الشهري 110 (2015/8) قراءة للكاتبة هدى أبو غنيمة في روايته «موسم الحوريات»، ونعيد نشرها في هذا العدد لتسليط الضوء على أعمال الروائي الراحل.



هدى أبو غنيمة

رحيل الروائي جمال ناجي
قراءة في رواية «موسم الحوريات»

التواصل بين العمل الأدبي والذوق الجماهيري في رواية «موسم الحوريات» لجمال ناجي



يتراكم الإنتاج الأدبي الروائي في العالم العربي كما وكيفا، ممثلا مفارقة بين هزيمة الواقع السياسي والاجتماعي، وازدهار الرواية لكونها الجنس الأدبي المرن والقادر على احتواء أجناس أدبية متنوعة، وهي المواجهة الإبداعية لنقائض المجتمعات العربية، التي لا تزال مقترنة بتخلف التعصب والتسلط والاستبداد.

اعتبرت رواية «موسم الحوريات» لجمال ناجي رواية الموسم لاتصالها الوثيق بالواقع الحي والاقتتال الطائفي وتداعيات (الربيع العربي) وظواهر الإسلام السياسي. جاءت الرواية في 286 صفحة، وتجري أحداثها في أماكن متعددة: الأردن وفرنسا وسورية العراق وأفغانستان والهند.

تبدو الرواية بالتلقي الأول رواية مشوقة تستأثر بانتباه القارئ من الصفحات الأولى وحتى الأخيرة، لكنها بتقنيتها الفنية المتميزة بتعد د الأصوات والاقتصاد في اللغو والثرثرة والابتعاد عن شعرنة اللغة، تبث رسائل مضمرة إلى وعي القارئ ليجد نفسه متورطا في ما يحدث حوله، وجزءا من شبكة العلاقات التي يتحكم بها النفوذ والمال والمصالح الفردية التي تحرك الأحداث والشخوص بخيوط غير مرئية.

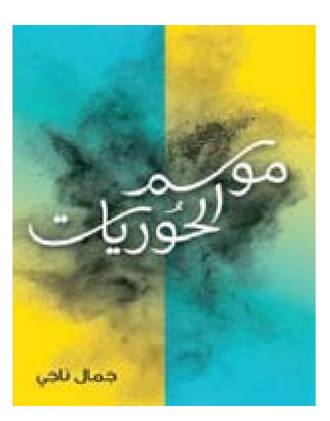
تنشئ الرواية تواصلا مقبولا بين العمل الأدبي، والذوق الجماهيري

السائد عبر الحوار المزدوج مع الأدب من جهة، والحياة ذاتها من جهة أخرى.

ملخص الرواية:

تفتتح الرواية بوصف ساري أبو أمينة مدير أعمال الباشا فواز الشرداح ورجل العلاقات المشبوهة، لمشهد الحفلة الباذخة التي كلف بإعدادها بمناسبة بلوغ الباشا الستين من عمره ذات مساء حزيراني حار. والإشارة إلى الطقس الروائي بهذه العبارة تبث إشارة تومئ إلى ما سيليها من أحداث إذ لم يخطر في بال ساري أبو أمينة أن المفاجآت التي أعدها، ستؤدي إلى المفارقات والأعاجيب التي حدثت بعدها.

تتصدر مشهد الحفل مظاهر الأناقة المترفة، التي تبرز فيها نافورة المياه تعتليها ثلة من الحوريات ذوات الأجساد الكريستالية، يسكبن المياه بأكفهن الشفافة في الحوض المائي الواسع وسط الحديقة ذات الممرات العشبية المحاطة بالأفاريز الحديدية المجدولة المرصعة بالنجوم النحاسية، وقضبان الرماح المسننة الصاعدة. هذه الصورة تخلق توازيا فنيا مع حلم الحوريات الذي يراود أذهان الشباب المتطرف في واقع أزمة الأفق المسدود سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.



يحدثنا ساري عن مفاجأة الحفل التي أعدها، وهي العرافة المغربية عروب التي أنبأت فواز الشرداح بأنه سيواجه عاما صعبا، لأن مقتله سيكون على يدي ابن له لا يعرف مكانه، رغم أن الباشا ليس له أبناء، لنكتشف من خلال تعرية الكاتب لشبكة العلاقات السرية في المجتمع أن الطمأنينة السلالية للباشا، التي أتاحت له فرصة بلوغ الستين من عمره بلا منغصات تكد ر عيشه، أو استقرار زواجه على مدى ثلاثة وثلاثين عاما مع زوجته السيدة سماح، تمثل مفارقة مع الأحداث التراجيدية التي تحمل ظلالا من التراجيديا اليونانية «أوديب» لسوفوكليس.

وأوديب هو الابن الذي قتل أباه، وهو لا يعلم بأبوته. يستدعي ظلال تراجيديا أوديب، اكتشافنا أن للباشا ابنا لا يعلم بوجوده من موظفة طباعة كانت

تعمل في إحدى الشركات التي ساهم فيها، فأقام معها علاقة غير مشروعة، كان ثمرتها ابنا ما إن بلغ العشرين من عمره حتى التحق بأسواق الجهاد المفتوحة في أفغانستان والعراق وسورية.

يضطرب استقرار فواز النفسي إثر نبوءة العرافة، وينكشف المسكوت عنه في مسيرة حياته، فيزين له نفوذه أنه قادر على التحكم بمسار القدر، ويذهب إلى الهند مع مدير أعماله للقاء الحكيم هارشا كبير العرافين والسحرة عله يعثر على حل لنبوءة العرافة، فيفاجأ بجواب الحكيم:

«الباشا من بلاد يتكثف فيها نشاط السماء، وحيث يكون نشاط السماء كثيفا، فإن التدخل في القدر يصير مستحيلا، لوجود قوة كونية خارج نطاق الزمان والمكان».

لذلك يكلف فواز مدير أعماله ساري ليجند أحد المتطرفين المفرج عنه في مهمة العثور على ابنه وقتله، لتنتهي الرواية بإصابة الباشا ومدير أعماله في حادث سيارة مفخخة.

يتميز الكاتب جمال ناجي بتعدد الأصوات والتركيز على المسكوت عنه في المجتمع وشخوصه شركاء في صنع الأحداث وليسوا شهودا، سواء أكانوا رئيسيين أو ثانويين. وقد سبق أن اتبع هذه التقنية في رواية «عندما تشيخ الذئاب». لكن هذه الشخوص دوما تحركها خيوط غير مرئية تملكها القوى الاجتماعية المتسلطة والمتنفذة.

لما كان الاهتمام بالقارئ في جوهر تحديث التفكير النقدي، «فإن نظرية التلقي تقسم القراء إلى صنفين: القارئ المفترض، والقارئ الحقيقي. القارئ المفترض هو من اختراع الناقد، ولا يعدو أن يكون هو المثال الذي يحتذى في مقاربة النص، والصنف الثاني يعنى بالقارئ الحقيقي ممن يقتنون النص ويقرأونه، ثم يخرج النص والنقد معا إلى فضاء الثقافة بعامة الفكر والتاريخ والمجتمع (والإناسة الأنثروبولوجيا وعلم النفس وغيرها»[1].

يقيم النص تواصلا مع القارئ من خلال تسليط الضوء على الدوافع النفسية، وحالة الاغتراب التي أدت إلى التطرف والالتحاق بأسواق الجهاد، فيورد على لسان الممرض ضرار الغوري الذي جنده مدير أعمال الباشا لمهمة البحث عن ابنه بوحا لزميله في التنظيم أبي حذيفة قائلا:

«ليس لي غير الجهاد منفذ ومخرج من غربتي التي أعيشها، بعد أن

غادرت الزنزانة. غربة بين والدي وإخوتي وأصحابي وجيراني ومعارفي كلهم ينظرون لي بازدراء، ويجافونني ويعيرونني بقلة العمل كما لو أني وباء عميم» (الرواية ص 141).

لعل أبرز الأسئلة التي يثيرها النص في ذهن المتلقي وهو يصور أجواء اللائذين بالطبقات السحيقة من الماضي هربا من واقع مهزوم وأفق مسدود وبحثا عن حلم الخلافة الذهبي من يصنع الإرهاب الدين أم السياسة؟ في رد على لسان أبي حذيفة، أحد الذين لازموا ضرارا الغوري:

«لقد أنست لذلك الممرض، الذي كان قريبا من قلبي. حدثني ضرار عن قريته في غور الأردن قال: إنها تبعد عن النهر بضعة كيلو مترات، ويمكن لمن يريد الذهاب إلى النهر أن يبلغه سيرا على الأقدام، ولقد عجبت لما قال فلماذا لا يتم فتح باب الجهاد هناك ما دام الأمر على هذا النحو من اليسر؟» (الرواية ص 171).

رغم التقنية الفنية المتميزة في الرواية وتماسكها، إلا أن مبالغة الكاتب في المفاجأة قد أخل بهذا التماسك، فقد اكتشفنا في النهاية، أن الذي أوعز إلى مدير أعمال الباشا بحفل العيد ودعوة العرافة هو والد السيدة سماح زوجة الباشا، وهو الذي بيده خيوط المشهد الذي أدت تداعياته إلى حادث السيارة المفخخة، كذلك الأجواء المحيطة بالحكيم هارشا، وحديثه لم تضف إلى الرواية معرفيا إلا المبالغة في التشويق والإبهار.

أترى هل سينتج عن هذا الإنتاج الروائي العربي الغزير التراكمي رؤى نقدية لها مصطلحاتها الخاصة المعرفية أم أنها تختمر وتولد في ظل أكثر المراحل سوادا في تاريخنا العربي الحديث؟

= = = = =

(1) انظر بحث د. عبد الله أبو هيف أستاذ علوم اللغة والبلاغة والنقد في جامعة تشرين اللاذقية – سورية. نظرية التلقي في النقد الأدبي الحديث ص 392 في كتاب تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر أبحاث مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر 2006 لمؤتمر قسم اللغة العربية جامعة اليرموك. منشورات عالم الكتب الحديث، إربد: الأردن.

فنار عبد الغني

إيناس



كل شيء بدا في ظاهره غريبا. دأبها المفاجئ على زيارتي بشكل غير متوقع، حضورها الغامض في أوقات أكثر غموضا، هيئتها المثيرة للريبة. كل ذلك حدث أثناء فترة بالكاد كنت أذكرها فيها. ظلت تأتيني على غير عهدي بها: الوجه الملائكي البديع الذي لا تفارقه الابتسامة الواسعة التلقائية؛ ابتسامة تعاند النكبة بكل أبعادها؛ ابتسامة تصر على البقاء؛ العينان واسعتا المدى حيث تستلقي بداخلهما حدائق النعنع الجليلي؛ الخدان النضران؛ الضحكة التي تفوق أناشيد النصر الذي نحلم به ليل نهار؛ نظراتها التي تغدق على عالم اللاجئين حبا وطمأنينة. كل تلك الملامح قد ذوت عنها. لقد أكتسى وجهها الملائكي شحوبا طغى على قسماته التي كانت تنضح حياة.

حضورها بهذه الصورة الغريبة، المريبة، أثار قلقي، وصمتها أثار خوفي بقدر أكبر، وهي المشهود لها بطيب الكلام. كيف كانت تأتي؟ وكيف امتلكت قدرة خارقة على اختراق المسافات؟ لقد كان من عاداتها المميزة المشي. كانت تمشي يوميا مسافة طويلة من بيتها الكائن في عمق مدينة صيدا الأثرية البحرية إلى وسطها حيث كانت تقع مدرسة الصخرة، مدرستنا التي تلقينا فيها دراستنا على مدى عشر سنوات.

لا شك أن تلك المدة الطويلة أكسبتها عادة المشي السريع، والقدرة على تحدي عالم القهر والفقر والشتات والظلم الذي كنا جميعا نعاني من آثاره كأطفال وكلاجئين. كل ذلك كان يقلقني. لكنني أنا بدوري آثرت الصمت وقررت ألا أفكر بالأمر.

قررت تأجيل التفكير بالأمر إلى وقت لاحق، ريثما أحل بعض المشاكل والضغوط التي كنت أعاني منها في تلك الفترة العصيبة من حياتي. لذلك لم أشأ أن أشغل نفسي بما يثير فيها القلق والخوف، وبما يفوق قدرتي على الاحتمال أيضا. لكن يبدو أنها كانت تريد أن تخبرني أمرا مهيبا، أمرا يتعلق ربما بحياتها الحاضرة أو بمستقبلها. ربما أحست بقلقي فالتزمت الصمت.

لم تكن إيناس على قدر عظيم من الجمال والجاذبية فحسب، بل كانت تتمتع بحظ وافر من البراءة والتقى. كانت من أولئك الأشخاص القلائل الذين يناضلون للمحافظة على فطرتهم النقية. أمضينا عشر سنوات معا على مقاعد الدراسة. كانت ودودة جدا ورقيقة القلب، وأكثر ما كان يجذبني إليها هو إيمانها الصادق.

كان لها مكانة مرموقة في قلبي، لم يحظ بها أحد من رفاق صفنا أو أي صديقة أخرى لي. عندما أنهينا المرحلة الإعدادية، افترقنا، ذهبت كل واحدة منا لتشق طريقها في الحياة. علمت فيما بعد أنها تزوجت. لقد تم عقد قرانها بعيد الانتهاء من امتحانات المدرسة. تزوجت وسافرت سريعا. لم تعلمني بذلك، ولم تدعني إلى حفل زفافها.

لقد أثار سفرها المفاجئ حزني، كنت أتوقع أنها سوف تتزوج حالما تنهي المرحلة الإعدادية، لأن من عادات عائلتها الحرص على تزويج البنات في سن مبكر كما حدث ذلك مع بنات عمها من قبل، لكن ليس بهذه السرعة. ويبدو أنها كانت قد خطبت في وقت سابق، وأخفت الأمر عنا في الصف. لكنني سررت حين علمت بأنها تزوجت من قريب لها مثقف وطموح. استقرت إيناس في أميركا اللاتينية. أعتقد أنها عاشت في نيكاراغوا.

تكررت زياراتها غير المنتظرة وفي أوقات غير متوقعة على مدى سنوات. أنا من ناحيتي، كنت غارقة في مشاغل الحياة وتفاصيلها وضغوطها الساحقة، لذلك لم أهتم بتفسير تلك الزيارات رغم القلق التي كانت تسببه لي. كنت أحسبها تعاتبني لأنني لم أعد أتذكرها. اليوم فقط وبعد مرور كل تلك السنوات، حظيت بالعثور على السر.

في الماضي عندما كنت أفكر بالأمر، كنت أفسر أن الأمر يعود لإحساس الإنسان الأصيل بالحنين والشوق لمنبت أجداده، وللغتهم ولعاداتهم ولكل ما يتعلق بهم. اعتقدت أيضا أن الأمر يعود للاغتراب نفسه: اغتراب الروح، واغتراب الذات عن نفسها، واقتلاعها من عالمها.

لم أعلم إذا كانت إيناس سعيدة أم حزينة في غربتها، لكن يبدو لي أن روحها كانت تحدسها بحدوث نبأ ما، وكانت تريد إبلاغي بهذا النبأ. ولأنها كانت مؤمنة حقا وروحها طيبة، كانت تبحث عن روح تشبهها لتساعدها. يا لروحها العظيمة! سقى الله تلك الروح، ما أكرمها!

لقد تعلمت من روحها العظيمة أروع درس في الحياة، تعلمت قيمة لم أجدها إلا عند إيناس: قيمة التسامح! كانت دائما كلمات التسامح تجري على لسانها دائما بسبب أو بدونه. «الله يسامحك»، تقولها لكل من يمسها بسوء. هذه العبارة لم أسمعها إلا منها، وهذا يدل على كم الطيبة التي كانت تسكن روحها. أتذكرها كلما مررت بموقف إساءة وظلم، أحيانا أستطيع نطقها وأحيانا لا أقدر، لكنني عندما أذكر إيناس، أكررها بكل صدق وأصفح عن كل من ظلمني. كانت هذه العبارة تزيد وجه إيناس إشراقا.

عادت إيناس إلى صيدا على غير عادة كل من يغادر من اللاجئين الذين يرحلون وتبتلعهم الغربة في ظلماتها وتحيلهم ظلاما حتى لا يستطيع التعرف على ذاته. عاشت إيناس في نفس مخيم اللاجئين حيث أعيش. والتقيت بها عدة مرات في السوق وفي العيادة وفي الجامعة، فقد أخبرتني أختي بأن إيناس قد سجلت معها في قسم التاريخ. سررت كثيرا من أجلها. هذه هي إيناس المكافحة والطموحة. ذهبت والتقيت بها، وقد دعتني إلى زيارتها عدة مرات، ووعدتها بالزيارة، ولم أف بوعدي لها. من المؤكد أنها سامحتني فهي سيدة التسامح.

علمتني إيناس دروسا أخرى في الحياة. كان أهم تلك الدروس ألا أغفل أي إشارة صغيرة أو عفوية تصدر عن أي إنسان. بفضل زياراتها غير المتوقعة، أصبحت من المواظبين على قراءة كتب تفسير الرؤى وأخبار السالكين والعارفين وأسرار عالم الأرواح والقوى الخارقة وكتب التنمية البشرية، وحضرت عدة دورات في التنمية البشرية، واليوم أحتفظ بدفتر صغير أسجل عليه ملاحظاتي وأحلامي والرؤى العظيمة التي تجعلني أكتشف بعض الأسرار الخاصة والعامة.

قبيل رحيلك، رأيتك في ثوب أبيض ناصع، ترتقين درجا لا نهاية له، يشق سقف السماء، ثم صعقت عندما وافتني أخبار منيتك العاجلة مع ملاكيك الصغيرين. علمت أنك كنت صائمة حين صعقتك عجلات سيارة متهورة وألقت

بك بعيدا. ثم عدت بعد ذلك إلي، رأيتك مجددا تتألقين في ثوب أبيض ناصع، ظل محافظا على طهارته رغم القذارة التي يغص بها العالم.

فلتسامحيني، لأنني لم أستطع فهم رسائلك. أنا على يقين أنك مسرورة حيث أنت في عالمك الجزل والنقي. أما عالمنا فيزداد بشاعة وقذارة يوما بعد اليوم. هنا البشر يتصارعون ويتطاحنون، يقايضون كرامتهم بأشياء تافهة. يتقاتلون. لا القاتل يعلم لماذا يقتل ولا القتيل يعلم لماذا قُتل.

أما القتلة الحقيقيون، فهم يمرحون في منتجعاتهم، ويعيدون تقسيم ثروات العالم على أنفسهم. عالمنا يزداد فقرا وأمية. الأدمغة الشابة والسواعد الفتية تولي هاربة إلى خارج حدود الأوطان، لتتسول لقمة العيش، أو لتعثر على على فرص حياة جديدة. النساء في عالمنا يستدينون من أجل عمليات التجميل.

لم يعد هناك جميلة تشبهك. والفقراء يزيدون فقرهم فقرا بسبب شرائهم وتكديسهم لأغراض لا يستخدمونها. والأحرار يخطفون من بيوتهم، ومن أحضان ذويهم ليزجوا في غيابات الظلمات الباردة والحارة، والجهال يصفقون لمن يسخر منهم حتى الثمالة.

فلتغفري لي عدم إنصاتي لإشاراتك.



نازك ضمرة

ما زال وجهها عالقا هنا



بعد ظهر ذلك اليوم كانت الشمس تتجلى في سماواتها، تمشي الهوينا بطيئة، لكن غيمة داكنة غطت على أطرافها، فظلت شمسنا تسير بلا مبالاة بما يعيق تقدمها، شبورة تواجه قرصها، فتفرد السماء لها بالبياض، فنحس بغموض يوحش النفس، وسيخفف من إشعاعها، تعجز العين عن النظر لها، ولكم تمنيت أن تظل السماء صافية.

قبلها بساعتين عرف أنه خسر وظيفته بسبب لا يعرف عنه، كان مخلصا في عمله ويتقنه، ومحبوبا من زملائه، لم ينس أيام الفقر في طفولته، فظل طوال السنوات العشر الماضيات يقتصد ويوفر أثناء عمله.

يدخل الوزير الشاب لمكاتب الموظفين، يصاحبه خبير أجنبي وسكرتيرتان ساحرتا الجمال، نظر لنا، حاول أن يبتسم، لكننا لم نر البسمة، لأنه سرعان ما غادر غرفتنا، واحدة من السيدتين أمام معالي الوزير، والثانية ترافق الخبير الأجنبي.

بعدها بأيام صدر قرار رفع الرسوم على إقامة الأجانب، تنفيرا لهم من الحضور للبلد، وتشجيعا للشباب الوطني لملء الوظائف بدل الأجانب، بعدها بأسابيع قليلة تمّ إنهاء خدماتي، ثم تلا ذلك استدعائي للأمن، لأن شريكي من أبناء البلد اتهمني بأنني أتاجر في الأسهم والعقار.

شريكي هو الذي دعاني في الأصل لهذا العمل، واستخدم ما أملكه من مال وفرته لبدء عملنا، نجحنا وتقدمنا بسرعة، لكن الرجل أراد كل الكعكة لا

نصفها، فوشى بي، مستغلا ظروف رغبة الدولة في التخلص من كثرة العاملين الأجانب في البلد.

ما تملكناه من العقار كان باسمه طبعا، وأسهم الشركتين الكبيرتين الناجحتين كانتا باسمي، عرفت أنه سيتم ملاحقتي وسأخسر كل ما وفرته وما جنيناه من تقدم، والأهم من هذا كله هو خشيتي من أن أخسر حريتي.

أعرف أنني سأتمكن من الحصول على حقي بدل بيع أسهمي، ولدي نقد يعادل خمسين ألف دولار تقريبا، أما عن حقي في العقار فلا أعلم عنه وقتها، فتظل حريتي هي الأهم، إذ لو سجنت سيضيع كل شيء، وهنا لا بد من المغامرة والمغادرة على عجل، وقبل الوصول لمرحلة المحاكمة، على أن أنجو من المطاردة أولا، بأن أتدبر أمر سفري دون علم وكيلي. نعم وثق بي الرجل وسمح لي بحمل جواز سفري، لكن لا بد من كتاب مصدق منه لاجتياز بوابة المطار.

انقطعت عن الذهاب لشقتي، تركت سكني وشاركت رجلا من بلدي غرفة الفندق دون تسجيل اسمي فيه، كان الفندق رخيصا، ولا يقدمون الطعام فيه، كنت أخشى الخروج كي لا يكتشفني مدير الفندق وموظفوه، شريكي في غرفة الفندق كان شبه مقعد وكبير السن ولا يشغله الاهتمام بالطعام.

تهاتفت مع أحد معارفي من أولاد البلد، فأخبرني أنه يستطيع أن يتدبر أمر دخولي صالة المسافرين دون أن أمرّ على الأمن، وكلما رن هاتف الرجل في غرفة الفندق قرقعت أمعائي خوفا من أن يكونوا عرفوا بمكان وجودي. المهم أنني غامرت واشتريت تذكرة الطائرة، مع أنني لم أكن واثقا من نجاح صديقي في إخراجي من بلده دون علم وكيلي، أو أمن البلد.

هي فتحة في أرضية صالة المسافرين، في زاوية بعيدة أنشئت لإنزال الأشياء الثقيلة التي يصعب حملها لصغر حجم العبوة، وربما لأهداف أخرى يعرفها المختصون.

شقيق صديقي موظف بسيط من أهل البلد الموثوق بصنفهم، ولأنه بدوي لا يسأله أحد عم يفعل، ويعرف جميع المسئولين أنه مخلص أمين، وعلاقتي بشقيقه كانت قديمة، حيث عملنا أول وصولي لتلك البلاد في سلك التدريس، كان معلما هو الآخر ويحمل الشهادة الابتدائية، ساعدته في دراسة المرحلة الإعدادية وفي النجاح.

لم ينس الرجل ما قدمته له، فقد وصل لمركز متقدم بعد حصوله على الشهادة المتوسطة، بقينا على تواصل وتعاطف. دلني على صاحب سيارة تكسي بدوي آخر، ليوصلني للمطار بعد غروب الشمس.

عبر سائق التكسي شوارع بعيدة وترابية كثيرة حتى وصلنا سور المطار، دخل من فتحة صغيرة في السور مقفلة، لكنه نزل وفتحها بنفسه، ثم أعاد قفلها بعد مرور السيارة، لم يكن معي سوى حقيبة مدرسية يد متوسطة يمكن ربطها على الظهر أو الكتفين، كنت ارتدي بذلة نظيفة أنيقة، أعجب سائق التكسي بي وبلباسي يومها، وتساءل كيف استطعت أن أظل نحيفا مع أن عمري تعدى الأربعين.

لم أعره اهتماما، ولا أجبت سؤاله، بل ابتسمت مكتفيا بالصمت وهززت رأسي. إنه لا يعرف عن ظروفي، ولا يريد ان يعرف، المهم أنه وعد صديقي المعلم السابق بإيصالي لصالة المسافرين في المطار، دون اعتراض أو مساءلة، همّه الوحيد هو مبلغ أجرة السيارة الجيد الذي سيحصل عليه. لم يكن مبلغا كبيرا ولا مبالغا به، بل ضعف ما يحصل عليه لمثل هذا عادة.

شقيق صديقي الذي كان معلما يعمل موظفا موثوقا به في المطار، ومن واقع خبرتي، فإن البدوي موثوق به من نظام الدولة في معظم البلاد العربية، وتستغله السلطات لأمور خاصة لا يجرؤ العاديون على القيام بها.

استقبلنا شقيق صديقي أمام مبنى المطار، المطار كبير والناس بالمئات يتحركون داخلين خارجين، ورجال الأمن ينتشرون ويتحركون في كل مكان، بعضهم بلباس عسكري، وآخرون يراقبون الناس بلباس مدني، فلا تعرف المودع من الموظف أو المراقب من الزائر. كلهم بدشاديش ومعظم الأجانب يرتدون ملابس غربية، لكن بعضهم يرتدون الملابس التقليدية مثل أهل البلد.

عانقني الرجل بتراخي، مع قليل من الاهتمام كعادة أهل البلد، أو هو تصرف روتيني بلا استعداد، استغربت حين وجدته يرتدي ملابس غربية، قال إنه يحب التغيير، فيجدها فرصة للتقليد أثناء عمله أحيانا، وهو يرتديها على أية حال حين يسافر خارج وطنه.

تبين لي أن شقيق صديقي مع أنه بدوي، لكنه لا يؤيد السلطات المحلية ولا تحكّمها بالإنسان، يحافظ على وظيفته وعمله، أوصاه شقيقه بعمل كل ما يمكنه

لمساعدتي، مقابل خدمتي له ايام الشباب، يريد أن يخدمني ولو مرة واحدة في العمر كما قال.

أرخى الحبال وأشار للأعلى، سحب منضدة ووضع فوقها كرسيا، ثم طلب مني الصعود على الكرسي للدخول عبر الفتحة في السقف، والتي تؤدي لأرضية صالة المسافرين، الفتحة كانت كافية لمرور شخص متوسط أو نحيف مثلي، وقبلها استدعى فتاة كاملة اللباس، لا يبدو إلا وجهها وكفاها، أجلسها معنا نتحدث لخمس دقائق أو أكثر.

لم أشعر بالوقت في ذلك الموقف لأن همي الوحيد هو مغادرة البلد بسلام، ففكري وقتها كان منشغلا بتصوراتي وأنا في صالة المسافرين، وحين أجد نفسي أدخل الطائرة.

لقد اشترى لي صديقي المعلم السابق تذكرة الطائرة قبلها بيوم ونقدته ثمنها، لا أعرف الشخص الذي سجلت التذكرة باسمه، حاولت أن أضحك حين تذكرت أن اسمي (سالم)، ولكن حتى لا يظنني أنني أسخر من جهوده وتصرفاته الجريئة، اكتفيت بابتسامة إعجاب به وبذكائه.

أوصى الفتاة الجميلة السمراء بي، وأكد عليها ألا تتركني حتى أجلس على مقعدي في الطائرة، أفعل كما طلب مني، لكن بعد أن صعدت على الكرسي، طلب مني النزول ثانية كي يودعني، فعانقني بحرارة ووعد بأن يزورني في بلدتي بعد شهور، أو أي وقت يسافر خارج بلده.

لم أنس توفيري ونقودي التي في تلك الدولة، تأكدت من مديري البنكين اللذين أملك أسهما بهما أن من الممكن توكيل شخص لبيع أسهمي، لم أقلق لذلك، لوجود ابنتي مع زوجها في تلك البلد، وقد وكلتها بهذا الأمر.

يخامرني الشك والخوف، قبل صعودي على المنضدة، كنا في غرفة صغيرة لها باب لا يبدو للمار العادي، وهي مستودع صغير لأدوات كهربائية وأمنية. ودعني الرجل بهدوء وحرارة، وبدا على ملامحه أنه معتز بنفسه، لم يكن قلقا ولا متخوفا، بل ربت على كتفي وظهري، ثم طلب مني الصعود على المنضدة فالكرسي.

وقتها طلب من الفتاة أن تصعد بطريق الدرج أو الكهرباء، لتسبقني وتكون في استقبالي في صالة المسافرين، وللتغطية على وقت بروزي من أرضية صالة المسافرين، مدت يديها الاثنتين وساعدتني على الخروج من الفتحة بهدوء

حتى وقفت على قدمي، نسيت نفسي فبقيت مشتتا قلقا محتارا شبه مسطول.

نسيت نفسي أول وقوفي على أرضية الصالة، وبقيت متشبثا بكفيها كطفل يتعلق بوالدته، كانتا ناعمتين دقيقتين لذيذتين وأشعرتني بحب الحياة، حملتاني إلى عالم أكثر أمنا، وشعرت أنني دمية خفيفة بين يديها.

وجدت نفسي أننا نقف في ركن منزوٍ من صالة المسافرين الواسعة، والذي أقلقني وطمأنني في الوقت نفسه لم يكن في الصالة أحد وقت ظهوري إلا الفتاة السمراء الأنيقة الدقيقة، لم تكن السيدة قلقة مثلي بالطبع، بل دلتني على مقعد طويل يتسع لشخصين ثم أجلست دميتها عليه.

ولحسن حظي أنني لم أنس حقيبتي التي ترافقني، مع أنني كنت في عالم الحضور أو الغياب. وضعت حقيبتي بين قدمي على أرض الصالة، ثم ذهبت موظفة المطار تبحث عن موظف له علاقة بالصالة، تعود باسمة وتبادرني بأن الطائرة لم تصل بعد، ولكنها تتوقعها بعد ساعة تقريبا، ثم ستقلع بعدها بساعتين.

قضينا نصف ساعة نتحدث في أمور تافهة ومتباعدة، بعدها بدأ بعض الركاب بالوصول هناك، أحسست بمزيد من الاستئناس وقتها، لكنني كنت في حيرة شديدة عبر نصف الساعة التي مرت، ولكم فكرت من أين أبدأ بالكلام، لأن مرافقتي كانت تتحدث عن أي شيء يخطر ببالها، وقالت إنها تحب أكلة المنسف الأردنية، وتطلبها من المطاعم المتخصصة في مدينتها، طفلاها لا يحبان اللبن المالح والحامض، ولا تحب طبخة الملوخية.

أما زوجها فهمه اللحم فقط والشوكولاتة الأمريكية، ولا يهتم بالخضار أو اللبن أو الحليب، وقد يأكل نصف برتقالة، أو ربع تفاحة، ثم قالت حتى أهلها لا يحبون الفواكه، والرز هو أهم عنصر يعنيهم، ومعه لبن أو سلطة أو تمر من الأنواع الفخمة والطرية. حين حضر أول المسافرين للصالة، طلبت من السيدة السمراء برفق شديد ألا تتركني. ابتسمت ثم قالت:

«اطمئن، أنا أحب الرجل النحيف مثلك، زوجي تخين وقصير، ثم إن ابن عمي أوصاني أن أهتم بك فلا تقلق».

بعدها اقتربت مني أكثر، صرنا نتحدث عن أمور الحياة والزواج والحب، وتطور الأمر لحكايات الليل والسهر، الوقت يمضي ببطء، وأنوار الصالة ليست قوية، لكن أشعة الشمس صارت تزيد من إنارتها حين مالت صوب الغرب. عرفت أنها تحب مشاهدة أفلام الجنس دون علم زوجها، مع ان زوجها يحب

ان يشاهد مثل تلك الأفلام حين يكونان مع بعضهما في غرفة النوم. قالت: «إنه يحاول أن نقلد الغربيين، لكنه فاشل ويلهث كثيرا ويصيبه ضيق النفس».

مدت يدها لجيبها، وأخرجت زجاجة عطر صغيرة جدا، رشت منها على صدرها ومنديل الرأس، فاحت رائحة العطر المنعشة، إنه باريسي من ماركة عالمية مشهورة غالية الثمن. قالت إنها حصلت عليها من صديقة أهداها لها مسافر مع أمير إلى باريس. أتجاوز مرحلة القلق الشديد حين أكملت حديثها قائلة:

«أحب بلدكم، لقد زرتها مرتين مع زوجي، فكنت أخرج وحدي للمدينة حين يخرج وحده عند أصدقائه كما كان يقول لي».

أبديت اهتماما بكلامها، ووعدتها بتقديم أي مساعدة تلزمها لو زارت بلدنا. فرحت كثيرا. نهضت بعدها على عجل وبرعونة، ثم غابت أكثر من عشر دقائق، وعادت وفي يدها لفافات متنوعة من الطعام والحلوى والشراب.

أكلنا وشربنا وضحكنا، مع أنني كنت ما زلت خائفا، ولم يكن الجوع مقلقا لي ولا يخطر الطعام ببالي، بل كل همي كان إغلاق أبواب الطائرة وأنا جالس على مقعد بها، أريد حريتي، ودون أن أنسى ثروتي، وربما مقاضاة شريكي في حقي بثمن قطع الأرض الثلاثة التي اشتريناها معا، وزادت قيمتها لأكثر من عشرة أضعاف، خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، وستزداد عشرة أضعاف أخرى خلال خمسة أعوام، وقد أكتفي لو حصلت على ما دفعته ثمنا للأرض وقدره أربعون ألف دولار.

كنت مقتصدا جدا في حياتي في الاغتراب، أعرف أن كل طائر يعود لوطنه بعد أن ينقضي هدفه من رحلة الاغتراب، فكنت أوفر قرشي الأبيض ليومي الأسود، لكثرة ما عانيت انا ووالديّ وإخواني وأخواتي في طفولتي، فعملي لعشر سنوات في تلك البلد جعلني أوفر مبالغ جيدة، وقدرت أن أبني لي بيتا أقطنه بعد عودتي لبلادي.

تزايدت الحركة والحضور في صالة السفر، وبدأ الناس يتقاربون ويتعارفون، وبعضهم يتلاصقون أو يتنافرون، وأنا ورفيقتي الشابة السمراء نتأمل الناس أثناء انغماسنا في أحاديث متنوعة.

شاهدت رجلا غريبا تقدم من امرأة غربية، سلم عليها ثم سألها فإذا بها تشير له بالجلوس بجانبها، صارا يتحادثان ويقتربان ويضحكان في سعادة

ومرح، ازدادت رفيقتي ثقة بنفسها وصارت تلمس يدي، كلما أرادت أن تلفت انتباهي لكلامها أو أي ملاحظة عن الحاضرين.

أخطأت عفوا فوقعت كفّي على ركبتها، لم تنفر من حركتي، بل أدارت وجهها صوبي ربما لتعرفني بوعيها، وربما أن حركتي كانت لإراحتها، ولضمان بقائها معي، لم يخطر ببالي أي رغبة أخرى وقتها، حريتي هي أغلى ما أريد، وكل اهتمامي كان منصبا عليها، وللخروج من ذلك البلد الذي انقلب على نفسه وتاريخه وتقاليده، صار كل شيء وتصرف في البلد يتغير ويتبدل بسرعة مثيرة ومخيفة في الوقت نفسه.

قطعنا الوقت وحان موعد دخول ا لركاب للطائرة، ترافقني رفيقتي مشيا بطيئا وفي هدوء، متجهين صوب صف الركاب الصاعدين للطائرة، تتأكد أنني أحمل بطاقة دخول الطائرة، إذ سبق لها وقدمت التذكرة لمكتب شركة الطيران في الطابق الأسفل من المطار، وأحضرت بطاقة دخول الطائرة.

ناولت البطاقة لموظف التدقيق، وطلبت منه أن يتأكد من أنني مرتاح في مقعدي قبل إقلاع الطائرة، ضحك الموظف بخبث، ثم قال لها، «انت تأمرين يا سيدتي».

وعند نقطة بدء الدخول للنفق المؤدي للطائرة، فوجئت بها تجذبني من كتفي، كنت منشغلا بحلمي السفر إلى حريتي، والتحليق في عالم الحياة والنجاة والأمل. اقتربت ولفتت نظري إلى أنها تريد أن تودعني، رفعت نفسها، فقبلت خدها بحرارة، فبان عليها فرح وحماس يقترب من التهيج، وكأنها تريد أن تعيدني لنجلس معا ثانية، أمسكت بكفها وضغطت عليها بإعجاب، ثم أطلقتها مضطرا، لأن المسافر الذي ورائي يتحرك لائما، ظلت واقفة حتى اختفيت داخل نفق الدخول للطائرة،

قلقي لم يختف تماما بعد وصولي لمقعدي في الطائرة، لكنني بقيت أحاول الاطمئنان، منتظرا إعلان إقفال أبواب الطائرة، الركاب يتحركون ويتململون، يحاول كل منهم تهدئة نفسه، وموظفو الطائرة في حركة دائبة ونشاط.

حضر شخص وسأل عني وطلب مني الخروج من مقعدي، واللحاق به، فكرت بعصيان الأمر، لكنني أعرف ـن ما سيحصل سوف يحصل رضيت ام أبيت، تبعته لكنني سألته هل تريدني أن أحضر حقيبتي؟ لم يجبني الرجل، ولم يتحدث معي بكلمة واحدة، وإنما سار أمامي وطلب مني أن أتبعه، وفي نهاية

النفق، فوجئت بالسيدة السمراء تبتسم بسعادة، وكأنها تفتخر بإنجازها، وبنجاتي ثم قالت:

«أردت أن أسألك هل تحب السفر على متن هذه الطائرة؟ أو تؤجل سفرك لرحلة تالية بعد ثماني ساعات، فإذا كان مقعدك الحالي لا يعجبك فقد أتدبر الأمر لك في الطائرة التالية لتكون في الدرجة الأولى».

ارتبكت قليلا، لأن فرحتي عارمة ولعجزي عن شكرها وامتناني لجهودها، ثم إنني لا أكاد أصدق نفسي أنني شبه حر، وسأحلق في عالم يخلو من الحسد والحقد والمتابعة الكريهة، فعالم الطائرة برغم ضيقه ومحدوديته، لكنه يشعرني بانطلاقي نحو الفضاءات الأوسع، ويشير لقدرتي على التحليق والوصول لأي مكان على الأرض.

تناولت كفها ثانية وأبقيتها على فمي لثوان، خجل مرافقنا، ابتسم وأدار وجهه كي لا يحرجنا أو يحرجها، أحسست بها تزداد حرارة، ولم أشعر برائحة طيبة جاذبة في حياتي مثل رائحة يدها لحظتها. حاولت التثاقل الكاذب وقلت:

«تركت حقيبتي في الطائرة والكرسي مريح جدا، ولا يوجد بجانبي أحد يضايقني في هذه الرحلة، فدعيني أسافر هذه المرة، لكنني سأكون بانتظار زيارتك لبلدنا سيدتي».

أجابت باختصار وثقة وكبرياء: «أدعو لك سفرة مريحة، وداعا، ثم طبطبت على كتفي وضغطت عليه قليلا.

وحين أدرت وجهي عائدا لمقعدي، ظل وجهها الباسم الجاذب يرافقني حتى بعد عودتي لقريتي وأهلي.

جليلة الخليع

مسارات النغم



أريد الهدوء التام الذي توقعه الموسيقى على أوتار الروح. ما عدا ذلك فهو صخب، إزعاج، توتر.

أشد على الوتر، تنفلت الأصابع، فأقبض على الفكرة في مسارات النغم. تجوب أرجائي علها تعثر على تلاشياتي في جزء ما من الخريطة اللامتناهية لظلالي.

أتعثر مرة تلو الأخرى، والنوتات تظل عالقة ما بين الوتر والفكرة، والكلمات تنتظر عند بوابة سمعي، عند قصري الذي تمتلكه أنفاسي، حتى يأتي ذلك الهبوب، فتتدفق النصوص وتنغمس في دواة الألحان المعتقة، فتولد من جديد.

ها أنا، في تكتلات الظلال المتحدة بي، المتشعبة مني، أوقع كل نبضي في قلب الحرف، في أذين الفكرة، في بطين الخيال، في الجسد المتكور «نوتة».

أتربص بكل التكتكات المنطلقة مني، الفارة من مفاصلي، الحائمة في فضاءات التحليق، فأستمطرني معها، أنقر زجاج نوافذي لأستيقظ على هذا الوقع الجديد.

إيقاعات متباينة، تبطئ، تسرع، تتوقف لبرهة، تستجمع أنفاسها وتنفث الصمت بشرايينها، لتعاود من جديد. هي إيقاعاتي بكل ثقل الكلمة، بدبيب الفكرة في شرايين الحرف، بالنص المختوم بتوقيع تكتلاتي، بالبياض الذي يدثر كل حبري المراق فيستجمعني. شددت رحال سمعي، وتوقفت على مشارفي، أطل علي من أعلى ربوة للصمت، لأرى وجودي/تواجدي.

هنا كل حواسي تجلس القرفصاء، وليوغا الكلمة أن تمارس كل غواياتها، حتى أقبض بزمام التأمل في مساحاتي الممتدة بياضا، والممتلئة بي هواء لا يتنفسه غيري.

أختلس السمع، أقتنص خطواتي المبثوثة في غير ما اتجاه، أتشكل في الدوائر المنبثقة من النور، أستدير والحيرة، كل صدى الألوان يتردد على قارعة اللوحة، والصوت هناك توقف ذبذباته الفرشاة، فيترك نقطا، تقطعات، على طول المسار.

هنا، كل الطرق تشبه ألحاني، أغنيتي هناك، بالجهة الأخرى من قارة الحنين، تشبه سكوتي.

أظل واجمة عند ملتقى الطرق الملتفة وأقدامي، والأضواء تشير بالمسير، وخطواتي غافية عند الخطوط البيضاء، تغشاها نوبة الأسئلة المتكتلة بغدة الشرود.

للأسئلة طعم اللحن في فم الأغنية، وللنوتات أن ترقص فالسها بدائرة بوحي، حتى أتقمص كل الأدوار المقيمة بموقع خيالي.

د. فراس ميهوب

فرعون والشاعر المتمرد



= خمس سنوات تصرّمت، قبلناك طريدا، من أرض كنعان، ادّعيت الهرب من الخوف، تقول إنّك من يافا، ما يدرينا لعلّك لصّ، أو قاتل؟

= هل بدر منّي في مصر ما يدخل الشّك إلى قلب الوزير؟

= نعم، أنت تتغنّى بطير فرّ من قفص، وتنشد للعشّاق تحت المطر، بل تنظم الشّعر عن جمال القمر، وتعمّدت قاصدا، أو تناسيت متجاهلا، أن تمدح الملك المعظّم الّذي آواك.

= تعرف يا حضرة الوزير أنّي لم أقل شعر الإطراء في حياتي، كما الهجاء.

= سكتنا عنك كلّ هذا الوقت، ولكنّ شهرتك زادت عن الحدّ، وباختصار أمامك حلّ من اثنين، إمّا أن ترحل صباح الغد الباكر، أو تسهر اللّيل، لتؤلّف قصيدة تقريظ عصماء تمدح بها جلالة الملك، فتنال الرّضا، وتصبح شاعر البلاط المرّفه.

خرج الوزير، ورجاله، وتركوا الرّعب محوّما في المكان كطيور الموت. اصفرّ وجه مراد. لديه ليلة فاصلة واحدة، وعليه الاختيار، ما بين الذّلّ الغنيّ، أو الكرامة الفقيرة. علا صوت نفسه الأمّارة بالسوء:

= ما المشكلة مع المديح، إنّه ضرب من الشّعر، تتقنه كغيره، وتستمر بضروبه الأخرى؟

حسم قراره تقريبا، قرّر النوم، فقصيدة مدح لا تحتاج إلى سهر. رأى في غفوته كأنّه صار نبتة عبّاد شمس في حقل واسع، مترامي الأطراف. كان

الذّباب الأزرق يهاجم جسده النّباتيّ الضّامر، ولا يأبه بآلاف النبتات الأخرى. استغاث، حاول إبعاد الذّباب عنه، لكنّ صوته العالي كان يجذب أعدادا أكبر منه. تورّم وجهه بشدة، وأحسّ بألم عنيف، حتّى فقد الوعي تماما.

صحا بعسر خانق عند المساء، وحيدا منهكا، أرداه الأسى، حين رقد الرّفاق في عين الهجوع. نبا عن عقله فقه السّرّ الغامض، وأنشبت الحيرة أظفارها في عنقه. أطلّ من الشّرق صبح جديد، واقترب أطفال صغار، هم روح الحبور، فرطوا قليلا من بذور عبّاد الشّمس جميعا، إلّا هو، فقد تركوه، كأنّه سراب مفقود، وذهل لرؤية البذور تعاود البزوغ، وبسرعة فائقة، في وجوه أصحابه.

سها عن الألم المبرّح الّذي سبّبه الذّباب، وشغله أمر وحيد، طالما أنّه دوار شمس كأقرانه في هذه الأرض الفسيحة، ما الّذي يجعله يتلقى هذه المعاملة فريدة السوء؟ كاد الهمّ يقتله، ولم يعد يهتمّ بإزعاج الحشرات الصّغيرة القذرة لرأسه المتعب، بقدر حسرته من البعاد الممضّ.

انتبه عند الظّهيرة لأمر ثالث محيّر، فقد أبصر أصدقاءه عبّاد الشّمس، يتبعونها بفرح، ويستديرون مع الغزالة كيفما دارت في السّماء، بينما ظلّ هو مطرقا، لا يقوى على رفع رأسه، وسرى اليأس في جسده النّحيل. خطر بباله أنْ ينظر إلى الأرض، صدم عندما شاهد ساقه مقطوعة من نصفها السفلي، ولا جذور له، بل كان مستندا إلى معدن غريب مغروس في الأرض.

قضم الجنون رأسه، سمع جيرانه يتهامسون، وريح الشّماتة تلطم أذنيه، عن عبّاد الشّمس الوحيد الذي قبل بالذهب بدلا من ساقه وجذوره، أعطاها للملك الذي أغراه طبيبه بتجريب وصفة الخلود، تمنحها له أشعة الشّمس المخزّنة في خلايا أطول وأجمل نبات في المملكة.

على صوت قهقهة عال، أفاق مراد مرعوبا، كان كابوسا مزعجا، رغم ذلك، أحسّ بالوجع يأكل من جبهته، وحتّى قدميه. جمع أغراضه، وضع دواوينه في الحقيبة الجلديّة التي جاء بها يوم ترك يافا، وما تيّسر من أشياء عزيزة على قلبه.

خرج، دمعت عيناه، اجتاز نهر النّيل، عند ضفافه وعلى مدّ النّظر حقول عبّاد الشمس. شاهدها وهي تلاحق الشّمس برؤوسها الدائريّة، فاستقرت نفسه قليلا.

نأت عنه أرض مصر شيئا فشيئا، وفارقها حزينا، جرحه الفقدان، ولكنّ سكون الضّمير واساه.

مضى الوقت على موعد مراد في القصر، مع الملك وحاشيته، ولم يتأخر الوزير وجنوده القساة بمداهمة بيت الشّاعر المتمرّد. كان الباب مفتوحا، والنّاس في بهو الدّار، ينظرون إلى ورقة مغروزة على الحائط.

قصيدة مراد الأخيرة في أرض مصر، مكتوبة بما تبقى له من حبر أرجواني:

قدّدْت لهم جسمي النّحيل
كي يأكلوه
فنبذوه مرميّا على القارعة
ألحمي سقام؟
وعصرت لهم من قلبي
شرابا حلالا كي يرشفوه
فسفحوه في الأرض
كخمر حرام
فمددت لهم قلمي جسرا
كي يعبروني إلى الجبل المقدّس
خلف الغمام
ورحلْت عن مصر
قبل الفجر
كئيبا، شجيا
تبكي عيوني أرض السّلام

زكي شيرخان

ذات صيف



على الشاطئ الرملي، في الصباح، كانت تسير حافية القدمين. ثوبها الأحمر الملامس لكاحليها تداعبه نسمات مشبعة برطوبة وافرة. تحمل صندلها الأحمر بيدها. بين فينة وأخرى، تتوقف، يتجه رأسها نحو البحر تتأمله. أحيانا، تتوقف، تستدير، ناظرة آثار قدميها، تنتظر موجة تغطي الرمال وعند عودتها تجرف آثارها، ثم تواصل سيرها.

كنت أتأملها من على كرسي اعتدتُ الجلوس عليه في الشرفة، محتسيا قهوتي، مدخنا غليوني، مستمعا لموسيقى عبر مذياع صغير تبثها محطة محلية.

اعتدتُ قضاء إجازتي الصيفية في هذا المكان المنعزل، دون صحف، بلا تلفاز. فترة استرخاء، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، بعيدا عن ضغوط العمل وضجيج المدينة.

* * *

يتكرر سيرها الصباحي. نفس الثوب، ذات الصندل في يدها. تعيد التوقف وتأمل البحر. تستدير لترى آثار قدميها يمحوها موج البحر. تسير الهوينا ناظرة سجادة الرمال كأنها تبحث عن شيء أضاعته.

«ترى ماذا فقدت؟» سؤال خطر على بالي. «أتتأمل البحر في انتظار مركب يحمل من افتقدته؟ أهي من أهل المدينة، أم هي مثلي تقضي إجازتها؟».

وددت لو اعرف إجابة. لو كانت قريبة بما يكفي لألمح قسمات وجهها،

وأمعن النظر في عينيها، فالوجه والعينان يشيان بما يعتمل في الداخل.

* * *

ضحى أحد الأيام، جالسا كنتُ على مصطبة، أكتب نصا على هاتفي الجوال ردا على رسالة وردتني من أحد مرؤوسي يطلب رأيي في معضلة يجابهها.

= أتسمح لي بالجلوس؟

دون أن أزيح رأسي عن هاتفي، أزحت جسدي نحو الحافة.

= أود الجلوس عند هذه الحافة.

ثانية، تحركت نحو الطرف الآخر. ناظراي مركزان على الهاتف أريد التأكد من أن الجواب قد أرسل.

= يبدو أنك لا ترغب أن يشاركك أحد مقعدك.

عندها، رفعت رأسي. المفاجأة ألجمتني. هي نفسها ذات الرداء الأحمر السائرة على الرمال صباحا.

= أخيرا، ها نحن وجها لوجه.

كنتُ، من المؤكد، بحاجة لوقت طويل لاستوعب الوضع الذي فاجئني.

= الآن، تستطيع طرح الأسئلة التي راودتك وأنت تراقبني في الصباح. وبدوري أستطيع أن أطرح أسئلتي.

لم أعهد من قبل مثل هذه الجرأة، ولا أريد نعتها بالوقاحة.

= لست وقحة كما قد يبدو لك. وأؤكد أني لست مجنونة بدعم شهادة طبية. لستُ طالبة متعة عابرة. جمالي يغري الرجال أن يحوموا حولي ويحاولوا الإيقاع بي. أنا فقط وددتُ التعرف على شخص أثرتُ في ذهنه أسئلة، كما أثار هو في ذهني مثلها.

= طريقة غريبة في التعارف.

= لا أحب التقليد.

ثم قفزت فجأة جالسة على الأرض بمواجهتي شابكة يديها فوق رأسها.

= ما الذي يدعوكَ إلى قضاء عطلتك في هذه المدينة النائية التي لا يعرفها جل أهل البلد الذي تنتمي إليه. المسورة بالجبال والبحر.

= كيف عرفت عني هذا الأمر؟

= من النادل العامل في مطعم النزل الذي أقيم فيه. سألته فيما لو يأتي أحد

لمدينتهم، فأفادني بأنك من النوادر الذين يقضون بعضا من صيفهم كل عام من سنوات، ودلني على شقتك المواجهة للبحر. أثرتَ فضولي.

= عادة، يتردد المرء على المكان الذي يريحه، والتكرار يوّلد العادة.

= حتى النادل مستغرب من ترددك. لا بد وأن أثرتُ فضولك بجلوسي على الأرض.

= بكم اشتريتِ شهادة سلامتك العقلية؟

= المؤسسة التي أعمل بها هي من دفعت تكاليف الفحص. شروطهم، إضافة للكفاءة المهنية، أن يكون العامل بها سليما.

نهضتُ، ناظرا لساعتي.

= لا توهمني بأنك على موعد مهم في مثل هذا المكان النائي؟ سأدعوك للغداء، ما رأيك؟

= لا، شكرا.

= لا تكن فظاُ، ليس من اللياقة أن ترفض دعوة سيدة لمراقصتك.

= دعوتني للغداء وليس للرقص.

= أليسا سيان؟

لم يكن أمامي إلا أن استهزئ مبتسما.

فرضتْ أن نلتقي الساعة الثالثة. نهضتْ. أسرعتْ باتجاه أحد الأزقة الضيقة.

* * *

دون أن تأخذ رأيي، طلبت لكلينا سمكا، بعض المقبلات، وماء. ما نبستْ بكلمة حتى جاء الطعام. كانت فقط تتطلع بي.

= لو طلبتُ منك أن تتزوجني فسترفض. أجزم بذلك. كيف ترتبط بواحدة لم تتعرف عليها إلا قبل ساعات. حتى اسمها لا تعرفه. كل تصرفاتها غير متوازنة. هي أقرب إلى الجنون. كل ما تملكه هو الجمال، وهي غير كافية لبناء ما يطلق عليه علاقة عائلية حتى لو دامت أسابيع أو أشهر.

= أجادة أنتِ؟

= ليس هناك مجال للهزل في مثل هذه المواضيع.

= لم أتوقع منكِ أن تستخفي لهذا الحد بعلاقة سامية بين البشر.

= دعك من هذه المصطلحات الفارغة من مضمونها التي ترددها الألسن ولا

تفهم معناها. سامية؟ ما مفهومك للسمو؟ الزواج حتمي لحاجة طبيعية يراد إشباعها.

= والأولاد، و...

= نواتج عرضية بالإمكان تجنبها.

= ساد صمت طال حتى إنهائنا الطعام. افترقنا.

* * *

في اليوم التالي لم تظهر على الشاطئ. طال انتظاري. قصدت النزل علِّني أجدها. ما أن رآني النادل حتى أعطاني مظروفا يعلمني أن السيدة تركته لي. عند أقرب كرسي جلست أقرأ.

«عزيزي: لا يهمني إن لم تقتنع بأني لست مجنونة. الصدفة المحضة جمعتنا. ما كان يمكن أن يحدث هذا مع شخص آخر. شيء ما جذبني إليك أول مرة رأيتك فيها في الشرفة. لن أدّعي أنه الحب من أول نظرة. كل ما بدر مني من تصرفات وما تفوهتُ به لا يمت لي بصلة. كان رد فعل ضعف أو قوة، لا أدري. قررت معك أن أواجه المصير الذي حدده الأطباء ببضعة شهور هي المتبقية من عمري بالطريقة التي أذهلتك. عرض الزواج كنتُ صادقة فيه وودت لو تحقق لأسعد في أشهري الأخيرة، ولكني لم أتحمل فكرة إيلامك. كان باستطاعتي إغوائك ولكني آثرت ألا نتدنس. ربما أخطأ الأطباء بتقديرهم وما أكثر أخطائهم. إن بقيتُ على قيد الحياة فسآتيك في الصيف القادم. تمنياتي».

مرام أمان الله

«شك» في سيارة أجرة



كانت الطريق تنزلق ببطء شديد تحت سيارة الأجرة. حتى المباني من حولها لا تكاد تتحرك؛ ربما لضخامتها وعلوها الشديدين، أو ربما كانت تتمنى أن تطير بسرعة بعيدا عن ذلك المكان.

كان السائق يقود بارتخاء سارحا في خياله وكأنما يقلّب همومه، أو يعدّ الوقت انتظارا لساعة الإفطار.

سألها مكرِّرا: «إلى أين؟»

فكّرت مليا، ثم أجابت بتردد: «إلى المطار».

صمتت قليلا ثم قالت: «إلى أقرب شاطئ، لا يهم».

فما كان للسائق إلا أن يهز رأسه بصمت ويكمل قيادته الهادئة.

كل شيء كان بطيء التحرّك من حولهما، حتى أنّ أفكارها بدأت تمتزج بالصور التي كانت تتسلل عبر زجاج السيارة. ضوءٌ أحمر يوقف المحيط عن الحركة. تتوقف السيارة لتمرَ امرأةٌ برفقة طفلتها تحاولان العبور إلى الرصيف المقابل. كانت الطفلة تمسك بيد أمها كمن يتشبّث بطوافة خوفا من الغرق.

امتزجت تلك الطفلةُ مع صورتها عندما كانت في الخامسة، حيث لم يتسنَّ لها حينذاك الالتحاق بروضة أو حضانة للأطفال. كانت على سرير صغير في مشفى ليس عربيا. لم تكن تفهم الانجليزية بعد، وكان والدُها يتحدث إلى الطبيب بلغة لا تشبه العربية، لكنّ ملامح وجهه آنذاك لم تكن تشبه ابتسامته المعتادة. انتهت المحادثة، وجاءت الممرضة لتعطيها حقنة قالوا لها إنها ليست سوى دواء بسيط للأطفال.

رغم أن والدها كان بالنسبة لها «طوّافة» الأمان، ورغم أنها لم تفهم اللغة التي تحدث بها إلى الطبيب، إلا أنّ هناك «يقينا» تغلغل في أعماقها بأنّ هناك شيئا ما يحاولان إخفاءه. تلقّت الحقنة دون مقاومة، لكنّ يقينها لم ينثنِ عن مقاومة ذلك الشعور القاسي بالنوم.

بعد دقائق معدودة من تلقيها الحقنة أصبح جفناها أثقل من أن تتحكم فيهما، وأخذ جسدها بالتآمر مع الشعور الغامر بالغياب عن الوعي، إلا أن «يقينها» المشاكسَ ذاك ظل يحارب ضد الاستسلام. بعد فترة من الزمن جاء الطبيب ليعطيها حقنة أخرى بنفسه، وقد كان.

ظلّت تقاوم. إلى أن رجع الطبيب غاضبا وقال بالإنجليزية جملة لم تفهم منها إلا كلمة واحدة: elephant، وتعني فيل بالعربية، حيث كان لأفلام الكرتون دورها في أن تعرف المعنى.

كان قد أخبرها والدها بعد سنوات بما حدث، وأن الطبيب قال له وقتها: «لقد حقنّا كمية مخدر كفيلة بأن تخدّر «فيلا» والعجيب أنّ طفلتك لم تنم!» كان ذلك في سياق الحاجة لأخذ عينة لفحص طبي ما.

انطلق السائقُ مجددا لقيادته الناعمة طوعا للإشارة الخضراء، وعادت المباني والحدائق للهرولة من جديد.

«لكن، لماذا تذكّرتُ ذلك الآن؟» تساءلَتْ.

في صباح ذلك اليوم قررت أن تنأى بنفسها عن كل شيء، فبعد سنوات مثقلة بالإشارات المريبة بدأ ينتابها «الشكّ». ما الفرق بين الشكّ وقراءة الواقع المحيط وتحليله أو ما يسمى الحدس؟ وما الذي خلق ذلك اليقين لدى تلك الطفلة لتقاوم تأثير المخدر وتنجح في إفشال مشروعه رغم عدم درايتها بما يدور حولها؟ قد يكون الشكّ هو ضده باختلاف زاوية القراءة؛ فبالنسبة لأبيها والطبيب كان شعورها هذا «شكّا»، وأما بالنسبة لها فقد كان «يقينا».

«أعتقد أنّ الشكّ هو مقدمة اليقين، ما إذا أثبتت النتائج صحة ذلك». فكرت وانتابتها غصّة. فقد كانت تلك السنوات قاسية عليها، جاهدت نفسها كثيرا للتخلص من مهارتها في قراءة الواقع المحيط، حيث كان كل ما كانت تتوقعه.

يتوقف السائق فجأة بسبب حادث سير توارى عن الأنظار خلف اختناق مروريّ. يتوقف كل شيء حولها فيعلو صوت أفكارها من جديد ليملأ فراغ الصورة.

لربما نجحت في تحليل ما يدور حولها إلى درجة جعلتها تفقد مهارة «المجاملة». لم يحدث إلا نادرا أن تخطئ في استنتاجاتها حتى لو شحّت المعطيات. هي تشعر بأنّ ذلك كان يقينا، ففي كل مرة كانت الأمور تؤول إلى مآلها المتوقع، لكنّ ما انتابها من شك في ذلك اليوم كان هزة ليقينها الذي لا ينفكّ يرافقها.

هو لم يكن شجاعا. كان يهاجم حدسها في كل مرة بتهمة «الشك» بلا أرضية مبررة، حتى أنّ يقينها بدأ بالاستسلام إلى أنه مجرد شكوك ولربما خوف مبطن من المستقبل. في ذلك اليوم وجدت بطريق الصدفة وثيقة تكشف الإجابات التي كانت تبحث عنها لفترة. بمحض الصدفة تعرى أمامها دون أي حجاب لترى حقيقته التي لطالما اختبرت مؤشراتها ولكن دون معطى يريحها من جهد التحليل. ها هو الْيَوْمَ الذي حمل في جعبته حقيبة الأسرار التي فسرت لها أخيرا شعورها الدائم بأنه يعيش حياة أخرى موازية.

في كل مرة كانت تتساءل فيها عن غموض ما، كان رده يأتي دفاعيا مبالغا في العنف متهما إياها بالشك. لكن أليس الشك هو مساءلة الواقع المحيط إذا ما أخذت الأمور منحى غير «طبيعي» أو خارج عن السياق أو العادة؟

قد نخطئ أحيانا في حكمنا على الأمور، لكن إن تطورت التفاصيل لتخلق «يقينا» يصبح البحث عن الحقيقة هو ما يلزم ليس إلا.

أعتقد أن تلك الطفلة الملتحمة بثوب والدتها جاءت لتسحب يقيني الأول في عمر الخامسة من أكوام الذكريات، ليسألني: هل كانت النتائج مفرزات منطقية لفرضية «اليقين»؟ إن كان لا، فهو إذا «الشكّ».

تساقطت تلك العبارات منها في سيارة الأجرة، ثمّ رحلتْ.

زهرة يبرم

الأميرة بدرة والليل

في قديم الزمان، كان لون الليل أبيض مثل بياض الثلج. ضوؤه وهج. لا تستطيع العين البحلقة به من شدة بياضه الناصع. هو في الطبيعة الآمر الناهي، القول قوله ورأيه هو القاطع. سيدة وأميرة الكون بدرة، أرادت أن تحيي حفلا رائعا في حديقتها الغناء، بين جنائنها المتنوعة الخضراء، من ورود وأزهار ساحرة، بألوانها الآثرة الباهرة.

دعت للحفل كل عناصر الطبيعة الجميلة، كالطيور المغردة، والحيوانات التي بجمالها متفرّدة. الكل استعد كأنه لصلاة متهجدة موحدة. الطيور تتقدم: العنادل والبلابل والهزار والكنار والشنار. خلفها الحيوانات المسالمة الجميلة وهي تختال بأحلى خميلة، يتقدمها الغزال ومِن قلبِه الهمُّ زال. الكل يتبختر بغنج ودلال، والطاووس كأنه يلبس حلة عروس، والفضاء ينير بغير شموس.

ولكي تتميز الأميرة بدرة عن كل عناصر الطبيعة من ضيوف حديقتها، أمرت حاشيتها ودعت كل ضيف زائر أن يرتدي اللون الأسود الداكنا حتى يظهر نورها جليا واضحا بائنا.

عم السواد البلاد وساد، فخرجت الأميرة بدرة تستقبل الضيوف تقودهم الإلهة فينوس وعشتار. كاد المدعوون ان يفقدوا الوعي عندما أطلت عليهم بدرة حيث أشرق الجمال والدلال على الفضاء. صار الكل يهيم كالسكارى بذاك البهاء والزهاء.

توزعت الانغام عطرا نديا، والسحر يخطف الأبصار غيا. وجاء الليل ببياضه ضيفا يطرق بوابة قصر الأميرة الغراء، يقف بكل مهابة وخيلاء. استقبله كبير الحراس، الحجاج، ببزته السوداء. ولأن الليل كان أبيض اللون لم يسمح له بالدخول وحضور الحفلة كما هو مشروط.

انسحب الليل مثل الحلاج منهزما مكسور الخاطر مثقلا بالحزن والغم.

توارى عن الأنظار زمنا طويلا يجتر همومه وتظلله سحابة حزن عميق. كل هذا لأنه حرم من رؤية الفاتنة بدرة. بدأ الليل يذوي ويذبل وانحسر بهاؤه، وأخذ لونه يسودّ حزنا على الفرصة التي ضيع فيها رؤية معشوقة الكل ومعشوقته بدرة. وكانت دموعه تنهمر منه وتتناثر، والتي عرفت فيما بعد بمسمّى النجوم.

ولما علمتُ انا بالقصة، كنت كل ليلة أجلس أتغنى بالليل الذابل الكئيب، الصب الرتيب، آه ما أصعب غياب الحبيب! ناشدت كل الكتاب والشعراء والفلاسفة أن يكتبوا ويتغنوا بالليل، ففعلوا. وأخذ الكل يغني على الليل وليلاه.

سمعت بدرة الغناء والشعر، وكانت قد علِمت بقصة طرد الليل من حديقتها وكيف انقلب بياضه الى سواد، وأنه ينتظر حفلة أخرى يُسْمَحُ له فيها بزيارتها كونه أصبح يحمل صفة السواد.

حزنت بدرة كثيرا لما حدث لليل، هالها ظلمها وظلم الحجاج والبشر على كوكب الأرض. ولأنها كانت محرومة من الحب انطفأ نورها وافتُقد وهجها بالقصر، فانطلقت حزينة إلى الفضاء وانغرست به. وصارت تحمل مسمى جديدا: القمر.

اما انا فوقفت مع خلق الله ننظر إليها نتذلل معجبين ببهائها. وكان لي شرف كتابة القصائد لها. طلبت قمر أن تقابل من عناصر الطبيعة أكثر من تغنى بها، فرشحوا صعلوكا كاتبا ينظم فيها الشعر بغزارة اسمه الليل. ارتعش قلبها لسماع اسمه. ولما حضر طلبت منه أن يسمعها شيئا مما كتب لها، فأنشد الليل بصوت مرتعش:

جاران قريبان تحابا ثم افترقا
فهام المحب سحابا محلقا قلقا
مُلِئَ تعلقا ثم فاض عشقا
أضناه الهجر فالتحقا
صار يلاحق خطوها كظلها وسقا
بعدما بالشوق ذاب فاحترقا
يدور كالنور يبحث عن سحرها وثقا
ويلم بعيونه الغسقا
كلما نزل مكانا، ينزل الدمع كأنه حبقا

وفينوس تتلظى العشق شبقا
ينبت أزهارا بيضاء مكان دمعها النزقا
ركب الليلُ قوسَ قزح لأَحقَ الأفقا
فلما وجدها رأى مكانا مزهرًا ورقا
فراح يقبل الورد ويحنيها له معانقا
القلب ذاب بها واضطرما
يا قمرًا وجهك أيقونة لكل من عشقا

وهكذا التم شمل العاشقين الأثيرين، الليل والقمر، ومن حولهما تلمع أدمعهما التي سكبت زمن عذابات الفراق.

طـه بونيني

خال من الكافيين



عزمتُ قبل رمضان هذه السنة أن أتوصّل إلى حيلةٍ تُنسيني إدمان الكافيين. وها قد تكشّفت ليلة الشكّ عن هلال الصوم، ولا تفصِلُني عن الشهر المبارك إلّا ساعات. فانحسر فكري كلُّه في تلك الساعات الأولى في العمل، الخالية من الكافيين.

والحلّ الوحيد المُتاح هو برمجة عقلي الباطن. سمعتُ هذا القول فأصررتُ على تطبيقه: «تخيّل نفسك تُبلي بلاء حسنا، وسوف تفعل ذلك حقّا».

جلستُ بجانب ابني صلاح الدين، الذي كان يُركِّب المكعّبات ليصنع بها بُرجا عاليا، وقد كان هادئا على غير عادته، فعرفتُ أنّ الفرصة لا تُعوّض. أطفأت التلفاز وبدأتُ جلسةَ البرمجة.

رحتُ أتخيل كُلَّ ما سيجري بالترتيب: «أستيقِظ صباحا على السابعة، وبعد ذلك بمدة قصيرة، أنطلقُ بسيارتي نحو العمل الذي يبعُد مسافة نصف ساعة عن البيت. قبل ذلك أقوم بنَفْي الفنجان الذي لا يزال في حامل الأكواب إلى مكان ما في صندوق السيارة. أُمضي الرحلة مُستبشرا، أستمع للراديو في الطريق، وبين الوقت والآخر أشاهدُ الشمس وهي ترتقي سُلّم السماء بنشاط، فتُلهِمُني بالروح الإيجابية.

أصلُ إلى العمل على الثامنة صباحا. أدخلُ المكتب فتُقابلني تلك الحكمة التي ألصقتُها على خزانة الأرشيف: (الأطباء ثلاثة: الابتسامة، الهدوء والحِمية)، فأَبتسِم».

لحدّ الآن لا يزال خيالي يتّجه نحو صباح جميل خالٍ من الكافيين. عليّ أن أجتاز عقبة الساعات الأولى بنجاح، ثمّ عقبة منتصف النهار إلى ما بعد الزوال، فنحنُ في العمل، لا يجدُر بنا مغادرة المكتب في رمضان قبل السادسة مساء.

تخيّلتُ ساعات العمل الأولى وهي تمرّ بسلاسة، رغم الصخب الذي راح يتصاعد. لقد كان ابني يحاول إخراجي من جلسة البرمجة، لأفتح له التلفاز. المسكين فكّكَ البرج العالي، وراح يقذف بمكعباته يمنة ويسرة، فقد مَلَّ من التركيب وحان وقت التفكيك.

كانت قد دقّت الساعة الواحدة زوالا عندما فاجأتني إحدى المكعبات، وقد كانت سوداء حسبما أتذكّر، فضربة المكعّب الأسود الكبير لا يصعُبُ تمييزها. رغم ذلك لم أفتح عينيّ، بل جسستُ بيدي آلة التحكم بالتلفاز وفتحتُه سريعا اتّقاء ضربة جوية ثانية.

وجدتُ خيالي قد سرح، وسَبِقَني إلى وقتٍ يُقارب العصر. لقد كان نفس الجوّ الكئيب الذي قد خزّنه عقلي اللّاواعي، يُخيّم من جديد. يبدو الرواقُ، حيثُ تنتشر مكاتب الزملاء، هادئا عاتما. فالمجالس لا تحلو عندما تخلو من الكافيين، والعياذ بالله منه.

لم أتمّكن من العودة إلى جلسة الخيال، فالصخب قد علا. ساعة الزوال أو النعاس، تلك التي ضاع فيها الخيال، هي ساعة يتذكّرها عقلي الباطن فتُصيبه بالمرارة. للأسف لم أستطع برمجته على أن يظفر بنقاط ما بعد الظهيرة.

تسحّرتُ باكرا ونويتُ صياما. رجوتُ الله سلاما لا هُياما ولا نِياما. وفي الحُلم تمثّلَ الصوم رجلا زارني في المكتب ... (إلى آخر الحلم).

في صباح أوّل يوم صوم، مرّ كلّ شيء كما أردت. ورُحتُ أحصِدُ نقاط الظفر في الساعات الأولى. تغلّبتُ فيها (أنا صائم هذا العام)، على (أنا صائم العام الفائت) بفارق واضح.

وجاء الوقت المنشود، وقتُ الظهيرة. وخَفَتَ الصوتُ بين المكاتب، وانقطع الهمس، واستحالت أنوار الصباح ظلالا، وألقى النعاس على الرواق أغلالا، على الجفون والعقول، فتحرَّرَت هواجسُ العام الفائت كاسحة.

ثمّ سمعتُ صوتَ أذان الظهر، وتذكّرتُ بعض الخيالات من حلم البارحة. فقد زارني رجل نحيف، استشعرتُ رغم هزاله، قوّة في قبضته حين صافحني. ورغم الثوب الزاهد الباهت، فقد بدَت طلعتُه صافية نقيّة. أتذكّر أنّه قال لي

في الحلم: «هل أنت صائم؟». كنتُ أهُمُّ بالجواب: «طبعا»، ثمّ تنازلتُ درجة، فالثقة قد خانتني. فاكتفيتُ بـ: «نعم». فقال لي: «توضّأ وعندما تعود ستجدُ وصفة الدواء لمُدمني القهوة».

خرجتُ من المكتب لأتوضّأ، فإذا بالرواق المُظلم يُشرق. عندما عُدتُ كان الرجل قد اختفى. ووجدتُ الرسالة الآتية: «بعد التشخيص، أنت لا تشكو من عِلّة، لكنّي أنصحك أن تتّخذ خصما أقوى من فنجان قهوة». فهمتُ عنه. فخصمي لم يكن أبدا فنجان القهوة، وإنّما من يحمل الفنجان، أنا.

سارة أبو مرجوب

من أنا؟ وخواطر أخرى



نسمات عابرة

ذبذبات هواء عليل جابت السّماء ثم حطّت رحالها تحت ظلال الأشجار، حنّت لحبّات رمل منثورات، سكنت العينين وسنا وحنينا، أنعشت قلبا تغنّى شوقا، غرّدت طيورها على حُمْرة الوجنات، همست في أذن القمر فاكتمل بدرا، أخجلت النّجمات وأفلت وراء الغيمات، سألت نفسها من أنا؟ فأجابت: أنا عطر نظريّات الجمال؛ وأنا نرجس الذّاكرة؛ فَلِم التعجّب من نسمات عابرة؟

ما بين السُّطور

مُدوّنة عجّت بالحروف ارتدت قبعة الإخفاء وبرعت بالعزلة عن الظهور، أشعلت شمعة وجمعت الأحاسيس بثرثرات مع الحواس الخمس فغفت على سرير الهوامش، سّربت دموع حبرها تخللت ثناياها المعتمة، رفضت المشاركة بمنصات الخطاب، كتمت أسرارها داخل أضلع أقلامها، صعبت فهم تحقيق الرغبات، فقالت نهاية من أراد معرفة الحياة فليقرأ ما بين السطور.

انتظار

كتابٌ يُقلّب صفحاتَ الحياة يُخبّئ في طيّاته جعبة من القصص والحكايات ثقيل وزنها تحمل عناوين تحت مُسمّى لحظات على مرّ الدّهر تأتي على هيئة

حبس الأنفاس بالخوف والترقب، جلوس على الجمر المُتَّقد، تطويق الأذهان بالأفكار المشوّشة من أصول الارتباك والتّشتت، بحث الأمنيات عن طُعم سنّارة الدّعوات في عمق البحر، استراحة مؤقتة لرحلات المحطات على الطريق، والعودة لبئر لا ينضب من انتظار.

ثغرٌ بسّام

دواء لميكروبات عبوس قلب منعكس على المُحيّا، صدقة تُحرك عواطف بعد أن أكلها غبار هجران عنيد، إحياء لعبير عبق زهور أهلها نسوا سُقياها، معزوفة موسيقية يدندن صداها في كل زمان ومكان، لؤلؤ مكنون ثمين مخبوء ما بين شفتين ناصع بياضه كبياض ثلج يملأ الكون نورا، حنكة بإيقاع عدو لئيم ضحية في فخ كيد سحره، رحلة إلى بلاد العجائب، تهافت الحب من كل حدب وصوب، غفوة قمر عند نومه، انتظار زقزقة طير على صحوة ثغر بسّام.

على الطريق

خطوات تتساءل والحيرة تغمرها ما الذي سيؤول بي في وسط زحام صخب هذه الحياة؟ فإذا به العقل يسمعها ويرسل الإجابة مسرعا للحناجر تصدح بالرد عليها تقول لها: ستمضي بأن تكوني مصدرا لكفكفة دموع المحاولات الأولى للتقدم ونور الإرادة، جمع التكسير لليأس والإحباط ومنتهى جموع الأهداف والاستسلام الممنوع من الصرف، فمبتدأ النهوض من الفشل لتحقيق خبر النجاح، سهاد من أجل الوقوف على ناصية حلم سيحلق وصولا إلى أعالي الغمام، تمزيق لوهن الخوف كوهن بيت العنكبوت، زرع بذور المبادئ والأفكار على الأيامن والشمائل نتاجها قوس قزح بعد مطر يروي ظمأ عناء الرحلة فتنهيها بإعلانك استراحة محارب على الطريق.

من أنا؟

أنا شخص أُدعى إنسان، أنا عقل يتدبّر، أنا ابن الأنا واللاشعور، أنا قلب ينبض حبّا من رحم شرايين الدم، أنا مشاعر مترجمة لكلمات ابتداء من تهنئة صرخة الحياة إلى انتهاء بالرثاء، أنا مزيج من عمل صالح وعمل طالح، أنا

دمعة، أنا عين تبصر، أنا ابتسامة، أنا خليفة في الأرض، أنا إعجاز إلهيّ، أنا أمام عظمة خالق الكون من أنا؟

خربشات ذاكرة

ذكريات طويلة الأمد تعود لطفل عندما أمسك بقلمه لأوّل مرّة وخطّ بيديه الصّغيرتين خربشاته غير المفهومة، فوضى الكلمات الّتي تملأ الرُّؤوس، السُّطور المتناثرة على الأوراق تقرأها الشّفاه، صفقة من النسيان ما بين الماضي والحاضر، واتّكاء على حلم خربشات ذاكرة.

حنين لغائب

دمعات حائرة تختبئ في العين مرة وتنهمر مرات إذا بها تخطف رونق بشاشة وجوه من شدة حرارتها، مثل ماء يصل أقصى درجات غليانه كلّما مرّ طيف حبيب رحل وغادر عن الوجود، تاركا أيادي تملكتها الوحدة في صراع مع حياة تملؤها الكآبة بعد أن أصبح مدونة ذكريات، كطفل تائه عن أهله في مكان مظلم موحش باحث عن أمان وبقعة ضوء للنجاة.

سفينة قلوب في صدور على شفا حفرة من أنين ذهول وصدمة، سبب غرقها فقدان بشع، لتهوي في قاع نوبات ألم، لا يتمتع أي زمان بقدرة على إنقاذها ومسح جراحها مهما طال أو قصر، إلى أن تنظر إليها عين رحيمة لا تنام بسكينة خفيّة تتنزل عليها بردا وسلاما، فمواساة ربانية تلهم ألسنا تحلق بأجنحة الدعاء من الأرض للسماء في لحظات حنين لغائب.

صفية حليم

الكتابة لليافعين ـ ندوة: عبور الحدود

الكتابة لليافعين ضمن ثيمة «عبور الحدود» كانت موضوع ندوة أقيمت في لندن يوم الجمعة 11 أيار (مايو) 2081 في مقر نقابة المعلمين في بريطانيا. شارك في الندوة خمسة من الكتاب والكاتبات المختصين بالكتابة للناشئين، وهم مايكل روزن (مدير الندوة) واليزابيث بيرد وبيفرلي نايدو وآنماري يونغ وأنثوني روبنسون. صفية حليم حضرت الندوة وكتبت بالإنجليزية الموضوع أدناه.

الأطفال في المنفى وحكاياتهم



للنزاعات مظاهر مألوفة: السياسة والعنف الذي يؤثر على الناس إلى حد التحول إلى مهجرين ولاجئين أو طالبي لجوء. هذه هي الجوانب التي تركز وسائل الإعلام عليها، وتجعلنا نصدق ما تريدنا أن نصدقه.

ولكن مقابل الأخبار التي تبثها وسائل الإعلام، هناك قنوات أخرى لإيصال حكايات متنوعة: قصص إنسانية قليل منا يعرف عنها، وعدد أقل لديه الشجاعة والموارد لكتابتها.

من بين هؤلاء خمسة كاتبات وكتاب تحدثوا في ندوة أقيمت في لندن يوم الجمعة، 11 أيار (مايو) 201. وكان موضوع الندوة كيف ولماذا يكتبون شهادات الأطفال واليافعين في مناطق النزاع، بما في ذلك حكايات الأطفال الفلسطينيين والسوريين.

قال أربعة من المؤلفين، وهم أنتوني روبنسون، وآنماري يونغ، وبيفرلي نايدو وإليزابيث إنهم يكتبون من أجل إعطاء صوت للأطفال الذين لا صوت لهم. الكاتب مايكل روزن أدار الندوة، وفي تقديمه لهم وصفهم بأنهم كتاب الإنسانية، علما بأن روزن يعمل أيضا أستاذا لأدب الأطفال في كلية غولدسميث في لندن.

ومما قاله الكتاب إن هناك وصمة ترافق صفة «لاجئ» في الغرب، والمسؤولية عن ذلك تقع جزئيا على وسائل الإعلام لأنها تقدم الوقود لنشر الكراهية. كذلك أشار المؤلفون إلى أن أطفال كل طرف في نزاع ما، لا يكونون على علم بأوضاع نظرائهم في الطرف الآخر. على سبيل المثال، الأطفال الفلسطينيون يشعرون بالعزلة بسبب جدار الفصل العنصري الذي بنته إسرائيل في الضفة الغربية. ونظراؤهم الإسرائيليون لا علم لهم بالوضع المأساوي للأطفال الفلسطينيين على الجانب الآخر من الجدار.

وقدمت الكاتبة بيفرلي نيادو وجهة نظر مماثلة تتعلق بالأطفال البيض في جنوب أفريقيا، فهي كفتاة بيضاء في زمن نظام الفصل العنصري لم تكن تعرف شيئا عن الأطفال السود أو كيف يعيشون. وكان ثمة اتفاق في الرأي على أن كل أنواع الكتابة، الخيالية وغير الخيالية، يمكن أن تمنح صوتا لمن ليس لهم صوت.

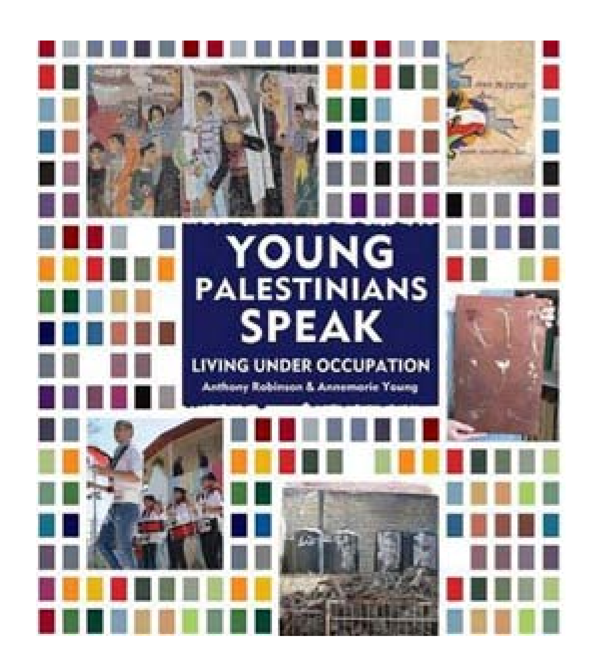
وقال المؤلفون أيضا إن البشر يسعون للهرب من الأوضاع السيئة. ورأى الكتاب أن حكايات الأطفال الذين يضطرون إلى مغادرة بيوتهم بسبب نزاع ما تعطي صورة حقيقية للوضع. واهتمامات اللاجئين الصغار تكون عادية. على سبيل المثال، في أحد مخيمات اللاجئين العراقيين، الفتيات المراهقات فيه كان مظهرهن مهما بالنسبة لهن.

وفي إثيوبيا، كان صبي في الثانية عشرة من العمر يريد أن يصبح مثل الممثل ولاعب الكراتيه، جاكي شان، مع أنه لم ير فيلما من أفلامه لعدم مقدرته على الذهاب إلى السينما. لكنه رأى ملصقا يظهر شان يطير، ومن هنا جاءت معرفته بجاكي شان وأمنية أن يكون مثله.

وبعد أن تحدث كل كاتب بضع دقائق، فتح المجال للأسئلة من الحضور. ومن بين الأسئلة التي طرحت إن كان التواصل مع الأطفال واليافعين بغير لغتهم الأم له تأثير. وقد أشار المؤلفون إلى أنهم يعتمدون على مترجمين. وفي بعض الحالات، يجدون أن الأطفال يجيدون الإنجليزية إلى حد ما.

تجدر الإشارة إلى الندوة نظمتها مكتبة نيوهام، التي تأسست في عام 1987 لتوفير الكتب والمواد التعليمية والألعاب للطلاب والمعلمين وأولياء الأمور. وتهتم المكتبة بكتب الأطفال واليافعين. وقد عرضت المكتبة نسخا من مؤلفات الكتاب الخمسة المشاركين في الندوة. وذكر أن ريع الندوة سوف يتم التبرع به لمبادرة لتأسيس أماكن للعب الصغار في فلسطين.

غلاف كتاب «اليافعون الفلسطينيون يتحدثون. العيش تحت الاحتلال». المؤلفان: أنثوني روبنسون وآنماري يونغ.



أسماء الكاتبات والكتاب بالحروف اللاتينية:

Elizabeth Laird. Beverley Naidoo. Annemarie Young. Anthony Robinson. Michael Rosen.

إصدارات جديدة ـ أصيل الشابي

الخطاب الرسائلي عند عبد الحميد الكاتب

للباحث التونسي، أصيل الشابي، كتاب جديد عنوانه «الخطاب الرسائلي عند عبد الحميد الكاتب: مقوماته وخصائصه». الناشر: دار الاتحاد، تونس، 2018. فيما يلي مقتطف من مقدمة الكتاب.



لا يخفى على أحد ما حظي به الشعر العربي من دراسة وتحقيق قديما وحديثا، إذ انكبّت عليه أجيال متلاحقة من النقّاد والباحثين. وقد شُغِّلت، في هذا الإطار، مناهجُ ومناح شديدة التنوّع والاختلاف. وربّما انضوى هذا المسار برمّته إلى اعتقاد كان يؤول إلى أولويّة ما للشعر على النثر، ممّا حجب قيمة النثر من حيث هو طريقة أخرى في تصريف القول وتخريجه ونسجه وصياغته.

ولعلّ دراسة رسائل عبد الحميد بن يحيى الكاتب أن تعيد الانتباه إلى المنثور من الكلام في مقابل سطوة ديوان العرب. ويُقحمنا الخطاب الرسائلي، بهذا التوجّه، في تلك العمليّة التواصليّة اللّغويّة في زمن بعينه، ويتعلّق بالتأثير ومضاعفة التأثير انطلاقا من خصائصه ووظائفيّته.

ونحن متى قلّبنا المراجع القديمة وجدنا جملة معتبرة من الأقوال المبجِّلة لشخصيّة عبد الحميد ذي الأصل الفارسي، من ذلك اعتباره الكاتب البليغ المشهور، ومناداته بعبد الحميد الأكبر، كما نجد ما نقله الجهشياري من أنّ أبا جعفر المنصور كان يردّد قولته المشهورة:» غلبنا بنو أميّة بثلاثة أشياء: بالحجّاج، وبعبد الحميد بن يحيى الكاتب، والمؤذّن البعلبكيّ.».

وحظيت المدوّنة بالأهميّة رغم ما اعتراها من نقص وضياع أغلبها. وهي أهميّة يمكن إرجاعها إلى شهرة صاحبها. وكان محمّد كرد على أوّل من أعاد الاعتبار إلى عبد الحميد في العهود الحديثة لمّا قرنه بعبد الله بن المقفّع. وتعمّقت، على هذا الأساس، الجهود في اتّجاه تعميق النظر في الرسائل رغم مواقف المستشرقين الغالب عليها التشكيك في أصول الرسائل، وإرجاعها إلى مؤثّرات أجنبيّة فارسيّة ويونانيّة.

وممّا لاشكّ فيه أنّ الناظر في الرسائل التي بين أيدينا، وهي متنوّعة وفيها ما يغلب عليه الوصف على حساب الإخبار والإبلاغ فيتحقّق التفنّن كما في رسالة الصيد ووصف طغيان الفرات وفي الكلام عن الفتنة ووصف حال النفس المندحرة قبيل مصير القتل على يد العبّاسيين يلاحظ هذا النزوع إلى التشابيه والاستعارات. ألا يوجب ذلك كلّه ضرورة إيجاد مدخل منهجي عند قراءة الرسائل يتجاوز التصوّر القديم الذي يقضي بتصنيف الرسالة تصنيفا خارجيا لا يراعي الشروط الإنشائيّة الدّاخليّة؟

وقد عملنا، في هذا الإطار، على التنبيه في الباب الأوّل على ضرورة إعطاء الصناعة والصّياغة ما تستحقّانه من أهميّة بالاستناد إلى المستويين المفهومي والاصطلاحي. ووسمنا الباب الثاني ببناء الخطاب الرسائلي، وحاولنا ضمنه النظر في الفصل الأوّل في مدوّنة رسائل عبد الحميد مُحيلين على محاولة إحسان عبّاس وضعها فـــي سياقها التاريخي المعقول، ومُنتقلين من النظر في الهيكل العام إلى البنى الداخليّة السرديّة والوصفيّة والحواريّة.

كما عملنا، في فصل ثان بعنوان دور الأجناس في بناء الرسائل، على رصد: أوّلا الحضور الأجناسي وتداخله ضمن خطاب الرسالة، وثانيا على مقاربة المقام وقيمته من حيث هو منتج للأجناس ودور المتلفّظ في تعديل ذلك الخطاب تعديلا يكشف عن الذاتيّة. ووسمنا الباب الثالث بأساليب الخطاب عند عبد الحميد الكاتب على أساس أنّها تحتلّ جوهر العمليّة التواصليّة. وسعينا إلى الربط بينها وبين محوري الصوت والتركيب ليفضي بنا ذلك إلى النظر أوّلا في الموازنة، وثانيا في الاستفهام، وثالثا في الصورة.

وخصّصنا، أخيرا، الباب الرّابع للرسالة ودلالاتها، وذلك من خلال خطاب المتكلّم، فاهتممنا في فصل أوّل بدلالتها الاجتماعيّة، ثمّ بدلالتها السياسيّة والعقائديّة، لنخلص، في ثالث الفصول، إلى دلالتها الثقافيّة من خلال نظرة عبد

الحميد للأدب والحياة. وتحصّل لدينا من هذا أنّ رسائل عبد الحميد انضوت إلى خطاب تجاوز الإخبار الديواني إلى التأثير ببلاغة الأدب تشكيلا لوعي الجمهور وخدمة للأمويين قبيل سقوطهم، وعبّرت عن تجربة رائدة مؤشّراتها القويّة في نصوص الرسائل، بنية وأسلوبا، لا خارجها.



إصدارات جديدة - د. ريزان شالي

سبل الوقاية من السرطان

السرطان مرض العصر. ونظرا لانتشاره وخطورته، تنشر «عود الند» أدناه ملخص كتاب صدر في الآونة الأخيرة يتضمن معلومات عن توصيات طبيبة مختصة بشأن تفادي الإصابة به. عنوان الكتاب «لنشكل فريقا ضد السرطان». مؤلفته الطبيبة العراقية المقيمة في الولايات المتحدة، الدكتورة ريزان شالي، عضو الجمعية الطبية الأميركية والكلية الطبية الأميركية.



عندما يبلغ الطبيب شخصا ما بأنه مصاب بالسرطان، يكون لهذا التشخص وقع الصاعقة، فيثير الرعب ويهز كيان الإنسان. لا توجد طريقة مثالية تمكن الأطباء من جعل وقع التشخيص أهون على المصاب وعائلته.

كلما تقدم الإنسان في العمر، كلما زاد احتمال معرفتك لأناس حولك أصيبوا بنوع من أنواع السرطان. ربما يكون الشخص من عائلتك، أنت نفسك تعاني من السرطان.

لقط قضيت العديد من سنوات عمري في مساعدة الناس ليتغلبوا على المصاعب والتحديات التي تواجههم في التعامل مع هذا المرض.

وفي كتابي هذا «لنشكل فريقا ضد السرطان»، أقدم طرقا بسيطة وفعالة لتتغلب في نزاعك مع هذا المرض وتعود إلى حياتك السابقة. الأمور الستة التالية أمور سوف تساعد على تفادي الإصابة بالسرطان.

=1= الامتناع عن التدخين

أصيب والدي بالسرطان نتيجة تدخينه للسجائر لفترة طويلة. عندما تلقيت الخبر، حزنت وارتبكت. فكرت فيما قد يحصل لعائلتنا. والدي الذي سخر حياته لنا قد يتركنا للأبد.

التوقف عن التدخين هو الإجراء الأول في قائمة الإجراءات لمنع حدوث السرطان. التدخين سبب ثلث الوفيات من السرطانات في الولايات المتحدة الأميركية، وأيضاً 80٪ من السرطانات في العالم.

لا تؤجل/ي قرار وقف التدخين فكلما أبكرت في قرارك، كلما زادت فرصتك في العيش أطول.

=2= اتباع النظام الغذائي الشائع في منطقة البحر الأبيض المتوسط

تشكل التغذية غير الصحية حوالي 30٪ من وفيات السرطان. ما يسمى غذاء البحر الأبيض المتوسط يتضمن زيادة المقدار المتناول من الفواكه والخضروات والبقول والمكسرات مثل الجوز والحبوب مثل القمح والإكثار من تناول السمك.

كذلك تجنب تناول معظم الأغدية الجاهزة. النظام الغذائي النباتي يعطيك خواص وقائية ممتازة ضد السرطان وذلك بسبب وجود مواد كيميائية هي جزيئات وتقوم بالحماية ضد السرطان بثلاث طرق: أولا أنها تعرقل بشكل مباشر نمو وتقدم الخلايا السرطانية. ثانيا تغير المحيط حول الخلايا السرطانية ولتجعلها أكثر عدائية ضد الخلايا السرطانية لمنع نموها. ثالثا تعدل أو تغير آلية مناعة الجسم للمساعدة على بقاء الخلايا ما قبل السرطان غير مؤذية.

تغيير نظامك الغذائي من الممكن أن يساعد كثيرا على منع الإصابة بالسرطان.

=3= الامتناع عن تناول المشروبات الكحولية

من المعروف أن شرب الكحول بكميات كبيرة قد يؤدي الى الإصابة بسرطان الكبد، لكنه أيضا قد يؤدي إلى سرطان القولون والمستقيم والثدي والبلعوم والحنجرة والمريء.

بعض الدراسات الحديثة وجدت أنه حتى شرب معدلات متوسطة من الكحول يمكن أن يكون لها تأثيرات مدمرة. لذا، الامتناع عن الكحول من الممكن له أن ينقذ حياتك.

=4= الاعتناء بالجلد

أثبتت دراسات عدة دون أدنى شك أن التعرض لموجات الإشعاعات الفوق بنفسجية تسبب نوعين من سرطان الجلد. مع ذلك لا يزال الملايين من الأشخاص يقومون بزيارة الصالونات لجعل لون البشرة برونزيا. وحسب إحصائيات الأكاديمية الأميركية لأطباء الجلد فإن سرطان الجلد هو ثاني أكثر نوع شيوعا من السرطان عند الإناث في هذه الفئة العمرية.

وهناك ازدياد سريع في انتشار سرطان الجلد في الولايات المتحدة خاصة بين المراهقات والنساء الشابات في الفئة العمرية 15-39 سنة اللاتي يلجأن إلى تغيير لون البشرة إلى برونزي. يتفق أصحاب المهن الطبية على أن التعرض للأشعة الفوق بنفسجية والآتية من الشمس سبب رئيسي لهذا النوع من السرطان. لذا أقول لك يجب أن تحب جلدك كما هو عليه.

=5= أداء التمارين الرياضية

استنتجت دراسات عدة قد استنتجت أن أداء التمارين يرتبط مع انخفاض خطر الإصابة بسرطان القولون وسرطان الثدي. التمارين الرياضية مهمة في علاج السرطان إلى درجة أن هناك قسما خاصا بهذا الشأن معروف باسم علم الأورام الرياضي. ويتوقع بعض الباحثين أن يصبح علم الأورام الرياضي جزءا أساسيا من العناية بمرضى السرطان، بالإضافة مع العلاجات التقليدية الأخرى مثل الجراحة، الإشعاع والعلاج الكيميائي.

هناك عدد من الباحثين احتضنوا العلاج بالرياضة كعامل مهم في تحسين إمكانية البقاء على قيد الحياة. التمارين تجعل التعامل مع العلاج أسهل وتقلل نسبة تكرار الإصابة بالسرطان.

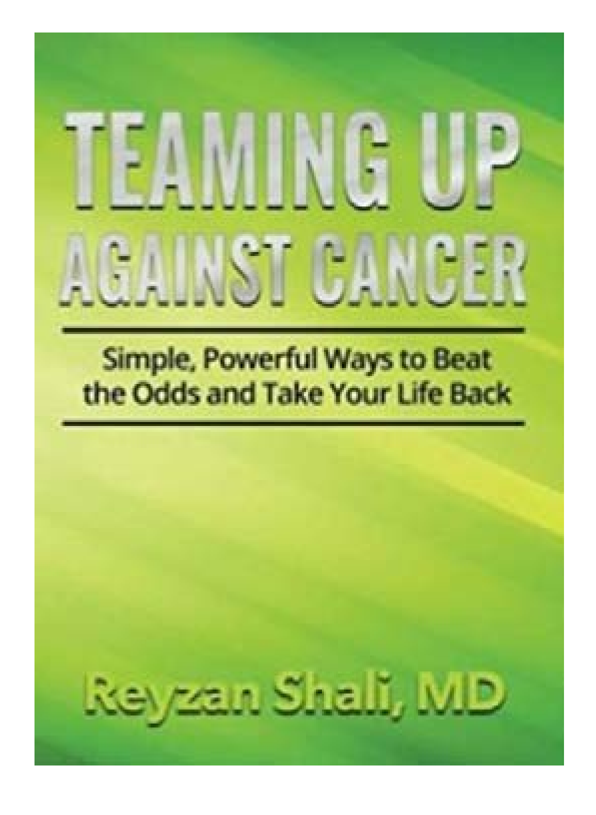
=6= إجراء فحص دوري للكشف عن السرطان

فحوص السرطان مهمة للكشف عن السرطان قبل حدوث الأعراض.

هذا يعني أن هذه الفحوص تنجز للأشخاص الذين لا يعانون من أي مرض. أنا اسمع مرارا وتكرارا من المرضى «أنا بصحة جيدة لذا فأنا لست بحاجة لأداء هذا الفحص». هذا خطأ. الفحوص الدورية تعني التشخيص المبكر وبالتالي العلاج المبكر إذا اقتضى الأمر ذلك.

دون هذه الفحوص، فإن السرطان الذي ربما أنت مصاب به لن يكتشف إلا بعد بلوغه مرحلة متقدمة، وهذا يعني تأخيرا في تقديم العلاج.

= = =

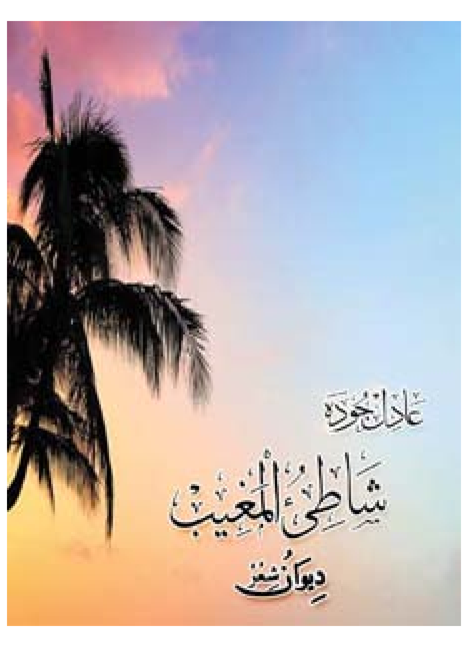


إصدارات جديدة ـ عادل جودة

شاطئ المغيب

صدر للشاعر الفلسطيني المقيم في السعودية، عادل جودة، ديوان شعر جديد عنوانه «شاطئ المغيب». وجاء في خبر التعريف بالديوان أنه يضم ستا وستين قصيدة وخاطرة. تجدر الإشارة إلى أن الديوان سادس مؤلفات الكاتب، ومن إصداراته السابقة كتاب عنوانه «بحر دير البلح» وهو الجزء الثاني من سلسلة «ومضات وجد»، وكلاهما طبع في مطابع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض عام 2017.





إصدارات جديدة - د. إيمان بقاعي

فن كتابة قصة الأطفال

صدر للكاتبة اللبنانية، د. إيمان البقاعي، كتاب جديد عنوانه «فن كتابة قصة الأطفال» تشرح فيه سبل كتابة قصة أطفال مبنية على أُسس علمية عربية مع فكرة وأسلوب مناسب ومشوق للطفل. الناشر دار الهدهد، دبي، 2018. تجدر الإشارة إلى أن المؤلفة أستاذة جامعية مختصة بالأدب العربي وأدب الأطفال والناشئة، ولها العديد من المؤلفات. المزيد من المعلومات على موقعها الذي يتيح لزواره امكانية تحميل عدد جيد من مؤلفاتها.





إصدارات جديدة ـ د. عدلي الهواري

الديمقراطية والإسلام في الأردن

أدناه مقتطف من كتاب «الديمقراطية والإسلام في الأردن: 1990-2010» الصادر عن دار عود الند (لندن) في آذار (مارس) 2018. المقتطف جزء من فصل يناقش فيه المؤلف د. عدلي الهواري بعض الآراء في محاولات التغيير التي شهدتها بعض الدول العربية في أواخر عام 2010 وأوائل 20101 وكان من نتائجها إزاحة الرئيسين التونسي زين العابدين من علي، والمصري حسني مبارك، وحدوث نزاعين مسلحين في ليبيا وسورية وتدخلات عسكرية خارجية.

من الآراء المتداولة فيما جرى في الدول العربية ابتداء من تونس أن الدول الغربية قررت أن تغير نظم الحكم وتفتيت المنطقة باستخدام جماعات الإسلام السياسي، كجماعة الإخوان المسلمين بمسمياتها المختلفة في الدول العربية.

يتجاهل هذا الرأي ما قالته وفعلته الدول الغربية لمنع وصول الجماعات الإسلامية إلى الحكم عن طريق المشاركة في الانتخابات. وقد ناقشت في الفصول السابقة ما كتبه باحثون عن المخاوف من وصول الإسلاميين إلى الحكم عن طريق الانتخابات.

وهذا الرأي أيضا ينظر إلى كل الجماعات التي تُطلق عليها صفة «إسلامية» باعتبارها كتلة واحدة متجانسة لا فرق فيها بين جماعة مثل الإخوان المسلمين في الأردن أو فلسطين أو مصر أو تونس وبين جماعات العنف المسلح كالقاعدة وداعش.

الجماعات الإسلامية ليست كتلة متجانسة، مثلما لم تكن الأحزاب الشيوعية في عصر الحرب الباردة متجانسة أيضا. حتى حزب البعث ذو

المنشأ الواحد تحوّل في الواقع إلى حزبين غير متجانسين، أحدهما في سورية والآخر في العراق.

بعض أنصار هذا الرأي يعتبرون أن أصحاب الآراء الأخرى يتبنون عن وعي أو دونه منطلقات المركزية الأوروبية، وهذه تهمة سهلة وتوحي بأن مطلقيها يمتلكون قدرا أكبر من الوعي الفكري، فهم ليسوا قادرين على تحليل الأوضاع في الدول العربية بشكل صحيح وحسب، بل هم أيضا على مستوى متقدم من الفكر يرفض منطلقات المركزية الأوروبية.

ولكني أرى افراطا في الانتقاص من آراء الآخرين بالقول إنها نابعة من مركزية أوروبية. وأرى أن هذا الأسلوب في نهاية المطاف يبرر استمرار أوضاع سلبية في الدول العربية. ويرتبط التبرير أحيانا بالهروب إلى الأمام أكثر عن طريق ربط استمرار الأوضاع في الدول العربية كما هي عليه بوجود صراع مع الدول الغربية الرأسمالية، وما يسمى «الناهب الدولي».

هنا أيضا تلاحظ أعراض استخدام أدوات تحليل للواقع تفتقر إلى الدقة، فالدول الغربية الرأسمالية تلتقي في بعض المصالح، وتتنافس على أخرى، ولذا لا يوجد ناهب دولي واحد، بل أكثر من ناهب. وضمن التنافس والتعاون، يكون لفرنسا مثلا دور أكبر في التعامل مع شؤون الدول العربية التي كانت تستعمرها.

ولكن كي أناقش هذه النقطة دون التركيز على عدم دقة المصطلح، سوف أفترض أن الناهب الدولي كتلة واحدة من الدول الرأسمالية تقودها الولايات المتحدة بحكم كونها قائدة العالم الرأسمالي.

يرى أصحاب هذا الرأي أن نجم الولايات المتحدة كقوة كبرى وحيدة في أفول، وأن بعض ما تقوم به، كما في سورية مثلا، علامة من علامات هذا الأفول. وهم يرون أيضا أن محاولات تغيير الأوضاع في الدول العربية مصيرها الفشل لأنها لا تفهم أن الناهب الدولي هو المسؤول عن هذه الأوضاع، ويجب أن توجه الجهود نحو مقاومة الناهب الدولي. وهكذا، حتى الاحتجاج على تقصير الحكومة في جمع القمامة يصبح لا مبرر له، لأن الجهود يجب أن توجه دائما لمقاومة الناهب الدولي للتعجيل في انهياره.

وثمة تبسيط شديد في هذا الرأي إضافة إلى إغراقه في التفاؤل بحيث يبدو أن انهيار الهيمنة الأميركية أصبح قريبا، في حين أن أفول نجم الإمبراطوريات واحتضارها عملية تاريخية بطيئة.

والتبسيط والتفاؤل يظهران أيضا في افتراض أن هذا الانهيار سيؤدي إلى حل المشكلات المحلية تلقائيا، في حين أن تجارب استقلال الدول أظهرت أن خروج الاستعمار لم يؤد تلقائيا إلى ازدهار الأوضاع في البلاد، بل يحتاج الأمر إلى مقدرة على إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

إضافة إلى ذلك، لم تعد روسيا أو الصين قلعة اشتراكية، والنموذج الاقتصادي الاشتراكي الذي ساد في عصر الاتحاد السوفييتي قبل غورباتشوف أو في الصين في عصر ماو تسي تونغ غير معمول به في روسيا أو الصين، فمنذ انهيار الاتحاد السوفييتي تغير النظام الاقتصادي في روسيا، والصين نظامها الاقتصادي اشتراكي بالاسم.

= = =

مبادرات ثقافية: أقرأ لأتميز



للعام الثاني على التوالي، تنفذ في جامعة سيدي بلعباس في الجزائر مبادرة غايتها تشجيع الطلبة على قراءة أربعة كتب خلال العطلة الصيفية. وتهدف المبادرة أيضا إلى تشجيع الطلبة على التحول إلى مشارك فعال في المحاضر لا مستمعا يهتم فقط بما له علاقة بالامتحان. يسر مجلة «عود الند» الثقافية أن تجدد دعمها للمبادرة بتسليط الضوء عليها، وتشجيع الطالبات والطلاب على المشاركة فيها، علما أن «عود الند» أصدرت عددا خاصا قبل شهور نشرت فيه ملخصات للكتب التي قرأها مجموعة من المشاركات والمشاركين في الندوة. وتدعو «عود الند» الطالبات والطلاب إلى الاستفادة من المعلومات المنشورة في المجلة عن أساسيات الكتابة مثل أحكام لطباعة واستخدام علامات التنقيط/الترقيم استخداما سليما. ونشجعهم على تحميل هذا الكتيب الذي يلخص هذه الأساسيات.

آخر موعد لتلقي طلبات التسجيل: 5 جوان (حزيران) 2018.

بدء القراءة: 10 جوان 2018

تقديم الملخصات: خلال الأسبوع الأول من شهر سبتمبر (أيلول) 2018.

فترة المناقشة: بداية من الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر 2018.

يمكن الحصول على المزيد من المعلومات عن المشاركة في المبادرة بالتواصل مع د. نادية لقجع جلول سايح باستخدام البريد الإلكتروني التالي:

nahwatamayoz@yahoo.com



لوحة الغلاف

الفنان رائد القطناني



لوحة الغلاف من إبداع الفنان التشكيلي الفلسطيني، رائد يوسف القطناني. الفنان في سطور:

= تخرج من قسم التصميم الإعلاني، الاتصالات البصرية، بكلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق عام 1995.

= يعمل في التصميم الطباعي، وإدارة البرامج الجرافيكية منذ عام 1996.

= عمل مدرسا بضع سنوات في قسم التصميم الفني بمعهد تدريب دمشق التابع للأمم المتحدة.

= أقيم له ستة معارض شخصية في الأردن وتركيا وبريطانيا، وشارك في مجموعة من المعارض الجماعية في الأردن وخارجه.

= حاصل على جوائز وشهادات تقدير عن مساهماته في مسابقات تصاميم فنية مختلفة.

= المزيد من المعلومات عن الفنان وفنه في صفحته في فيسبوك:

https://www.facebook.com/raed.qatanani.7



فلسطين والعودة في قصائد مغناة

جسر العودة

مقتطف من أوبريت «جسر العودة». الغناء: فيروز والمجموعة. الكلمات والألحان: الأخوان رحباني.

كلمات المقتطف

وسلامي لكم
يا أهل الأرض المحتلة
يا منزرعين بمنازلكم
قلبي معكم
وسلامي لكم
والمجد لأطفال آتين
الليلة قد بلغوا العشرين
لهم الشمس
لهم القدس
والنصر وساحات فلسطين



فلسطين والعودة في قصائد مغناة

عـائـدون

قصيدة/أنشودة «عائدون» للشاعر هارون هاشم رشيد. يغنيها حاليا كثيرون. في الأصل كانت أنشودة غناء جماعي. كلمات القصيدة:

عائدون عائدون = = إنَّنا لعائدون
فالحدود لن تكون = = والقلاع والحصون
فاصرخوا يا نازحون = = إنَّنا لعائدون
عائدون للدِّيار = =للسُّهول للجبال
تحت أعلام الفخار = = والجهاد والنِّضال
بالدِّماء والفداء = = والإخاء والوفاء
إنَّنا لعائدون
* * *
عائدون يا ربى = = عائدون يا هضاب
عائدون للصِّبا = = عائدون للشَّباب
للجهاد في النِّجاد = = والحصاد في البلاد
إنَّنا لعائدون
* * *
يا فلسطين دعا = = هاتف إلى السِّلاح
فحملنا المدفعا = = وتنسَّمنا الرِّياح
للأمام للأمام = = بالحسام والحمام



ناجي العلي: العودة وفلسطين

أدناه ثلاث رسمات للفنان ناجي العلي، رسام الكاريكاتير الذي رسم بالأسود والأبيض فقط، والذي اغتيل في لندن صيف عام 1987. الرسمة الأولى تعتمد على فكرة احتفاظ اللاجئ الفلسطيني بمفتاح بيته في فلسطين 1948.

إننا لعائدون إلى يافا
مخيم بلاطة

ناجي العلي

إننا لعائدون إلى يافا
مخيم بلاطة

جندي إسرائيلي يجد مفتاحا لبيت في فلسطين
مخبأ تحت بلاط أرضية بيت في مخيم بلاطة
القريب من مدينة نابلس

عود الند

تضامناً مع أطفال المخيمات
اللي عمبيموتوا من الجوع والعطش
.. بصحتهم !!

ناجي العلي

تضامنا مع أطفال المخيمات
اللي عمبيموتوا [الذين يموتون] من
الجوع والعطش .. بصحتهم !!

عود الند



للتواصل مع «عـود الـنـد»

أفضل وسيلة للتواصل مع «عود الند» فعل ذلك من خلال موقع المجلة.

www.oudnad.net

يمكنك التواصل مع المجلة بزيارة صفحاتها في مواقع التواصل الاجتماعي:

فيسبوك: oudalnad :: :: :: تويتر: oudalnad

مواعيد صدور الأعداد القادمة

=1= خريف 2018: مطلع أيلول (سبتمبر) 2018.
=2= شتاء 2019: مطلع كانون الأول (ديسمبر) 2019.
=3= ربيع 2019: مطلع آذار (مارس) 2019.
=4= صيف 2019: مطلع حزيران (يونيو) 2019.

راجع/ي مادتك أكثر من مرة قبل إرسالها للتأكد من سلامة اللغة، ومراعاة أحكام الطباعة، واستخدام علامات التنقيط (الترقيم) استخداما صحيحا، وتوثيق المراجع توثيقا منهجيا كاملا.

«عــود الــنـــد» تنشر المواد الجديد فقط المرسلة للنشر الحصري في المجلة. لا ننشر مواد نشرت من قبل في مطبوعة أو أي موقع آخر، بما في ذلك المدونات الشخصية، أو المنتديات أو فيسبوك. يتعهد الراغبون في النشر في المجلة بعدم إرسالها للنشر في مكان آخر، وبعدم الموافقة على إعادة نشر الموضوع بدون موافقة «عــود الــنـــد».

«عـود الـنـد» فـي سـطـور

- صدر العدد الأول من مجلة «عـود الـنـد» الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات متالية.
- حصلت «عـود الـنـد» من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ«عـود الـنـد» هو: ISSN 1756-4212
- شارك في «عـود الـنـد» كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.
- بعد اتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.
- ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له ثمانية كتب، ستة بالعربية:
  - **الديمقراطية والإسلام في الاردن؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ الحقيقة وأخواتها؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ بسام يبتسم؛ كلمات عود الـنـد؛** واثنان بالانجليزية عن مدى توافق الديمقراطية والإسلام وما يسمى الإسلام السياسي.

www.oudnad.net